مجلـــــة السعيد للعلـــــوم الإنســـانيـــة والتطبيقية
Al - Saeed Journal of Humanities and Applied Sciences
journal@alsaeeduni.net
Vol (5), No(4), November, 2022 المجلد(5)، العدد(4)، 2022م
ISSN: 2616 – 6305 (Print) ISSN: 2790-7554 (Online)

تطابق الرؤى البينية بين النظريات الخلدونية والعلوم الشرعية
الظلم مؤذن بسقوط الدول وخراب العمران

د/ حكيم إبراهيم عبد الجبار الشميري
أستاذ المشارك قسم الشرعية
جامعة السلطان أزلن شاه - ماليزيا
aabobhaa@yahoo.com

https://alsaeeduni.net/colleges/research-and-strategic/2017-03-10-08-03-59

تطابق الرؤى البينية بين النظريات الخلدونية والعلوم الشرعية
الظلم مؤذن بسقوط الدول وخراب العمران

د/ حكيم إبراهيم عبد الجبار الشميري
أستاذ المشارك قسم الشريعة
جامعة السلطان أزلن شاه – ماليزيا

المخلص

نظراً لما نشاهده في مجتمعنا العربي من ظلم وسطو على الشعوب المغلوبة على أمرها، وما نتج عن هذا الظلم من خراب للأوطان وضياع للأموال وهلاك للأنفس، وسقوط عروش الكثير من المتسلطين على إثره؛ ما كان لها أن تسقط لولا الظلم والاستبداد، لأجل هذا لزمنا أن نسطر بعض الحقائق الاجتماعية والنظريات البينية التي أشار إليها ابن خلدون في مقدمته، ومدى توافق هذه النظريات الاجتماعية مع النصوص الشرعية. ونهدف من خلال هذه الدراسة إلى إبراز أهمية علم الاجتماع والاستفادة منه، وبيان مدى ترابط علم الاجتماع مع النصوص الشرعية في الكثير من المفاهيم والسنن الكونية، والتعرف على خصائص ابن خلدون ومميزاته في علم الاجتماع، كما نهدف من خلال هذه الدراسة إلى إحياء التراث الاجتماعي وتوظيفه في خدمة القضايا الإنسانية وتوعية المجتمع وتحذيرهم من عاقبة الظلم، والابتعاد عن الأخطاء التي وقعت فيها الأمم السابقة. وتكمن أهمية هذه الدراسة من خلال رصد تجارب الأمم السابقة التي نص عليها الشرع، وتوافقت مع النظريات الاجتماعية وأشار إليها ابن خلدون، وقد سلك الباحث عدة مناهج لتحقيق هذه الأهداف، كان أبرزها الاستقراء والتحليل والنقاش والاستنتاج، وقد توصل الباحث من خلال هذه الدراسة إلى عدة نتائج، أبرزها الظلم آفة خطيرة تهدم العمران، وتعطل الفكر، وتفسد العقل، وتضعف الأمم والشعوب.

الكلمات المفتاحية: الرؤى البينية، الشريعة، الاجتماع، الظلم، النظريات، العمران، ابن خلدون.

The congruence of the inter-views between Khaldunian theories and forensic sciences (Injustice is a portent of the fall of states and the ruin of urbanization)

Dr. Hakim Ebrahim Abdul Jabbar Al-Shamiri
Assistant Professor, Sharia Department
University Sultan Azlan Shah, Malaysia

Abstract

In light of what we see in our Arab society of peoples' injustice, and the consequences of this injustice in terms of the destruction of homelands, the loss of money, and the fall of many authoritarians; it would not have fallen if it had not been for injustice and tyranny. As a result, we must document some of the social facts and interconnected theories mentioned in Ibn Khaldun's introduction, as well as the extent to which this social theory is compatible with legal texts. We hope that by emphasizing sociology, we can highlight its importance and benefits in social life, as well as demonstrate the extent to which sociology is interconnected with legal texts in many concepts and cosmic traditions. To identify the characteristics of Ibn Khaldun and the advantages that distinguish him in sociology from others, we also hope to revive the social heritage and use it in the service of humanitarian issues, raise awareness of society, warn them of the consequences of injustice, and move away from the mistakes made by previous nations through this study. The significance of this research lies in observing the experiences of previous nations stipulated by Sharia, which are compatible with Khaldunian theories. It is perilous because it destroys cities, disrupts thought, corrupts the mind, and weakens nations and peoples.

Keywords: graphic visions, Sharia, society, injustice, theories, age, Ibn Khaldun.

المقدمة:

بالاستقراء لما يجري حولنا، استقر الأمر على أن العلوم الشرعية مرتبطة بعلوم متعددة، وتخصصات مختلفة ومتنوعة؛ منها علم الفلسفة الاجتماعية؛ فالإمام ابن رشد الحفيد، رأى أن الفلسفة التي تعتمد على العقل والمنطق أحد الأمور المهمة لخدمة العلوم الشرعية، وأن فعل الفلسفة ليس شيئاً أكثر من النظر في الموجودات، واعتبارها من جهة دلالتها على الصانع(١). وإنه كلما كانت المعرفة بصنعتها أتم كانت المعرفة بالصانع أتم، وكأن الشرع قد ندب إلى الاعتبار بالموجودات، فعلم الفلسفة إما واجب بالشرع، وإما مندوب إليه(٢)". فنظرة ابن خلدون إلى علم الاجتماع من وجهين، الوجه الأول ظاهر، وهو دراسة الأحداث ومعرفة أعمار الدول، والاطلاع على نهاية الأمم، أمّا الوجه الثاني فهو باطني، وهو عبارة عن تدقيق النظر في الأحداث، وتعليلها، ومعرفة خصائص الكائنات، والعلم بكيفيّة الوقائع، وأسباب حدوثها، وبذلك يكون التاريخ عريقاً، وعميقاً، وجديراً بأن يكون علماً يوقفنا على أخبار الأمم الماضية وأخلاقها، وسير الأنبياء والملوك في سياساتهم(٣). ويرى ابن خلدون كذلك أن سائر المقاصد الشّرعيّة في الأحكام فإنّها كلّها مبنيّة على المحافظة على العمران(٤). ولهذا نجد أن الله سبحانه وتعالى أمر أن نسير في الأرض ونستفيد من تجارب الآخرين، ونتفكر من خلال هذا السير، وننظر في عواقب المجتمعات البائدة، وكيف انتقم الله منها عندما خالفت أمره، وحادت عن منهجه، قال عز من قائل: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت:٢٠]. وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [الحج:٤٦] وقال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [الأنعام:١١] وقال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [النمل:٦٩]. وقال تعال: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾. [الروم:٤٢]. وقال تعال: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ وهذه النصوص

(١) الشميري، حكيم إبراهيم عبد الجبار الشمري، مناهج النقد الفقهي ومسالك الترجيح عند الإمام ابن رشد، (تطبيقات فقهية من بداية المجتهد ونهاية المقتصد)، الملتقى الدولي السادس النقد الفقهي في المذهب المالكي نظرية وتطبيقات، جامعة الشهيد حمة الخضر- الوادي -الجزائر- معهد العلوم الإسلامية، بالتعاون مع مخبر الدراسات الفقهية والقضائية، ١٥-١٦ ديسمبر ٢٠٢١م.

(٢) ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (المتوفى: ٥٩٥هـ)، فصل المقال، دراسة، وتحقيق: محمد عمارة، الناشر: دار المعارف، الطبعة: الثانية، عدد الأجزاء:١، ص٢٢.

(٣) ابن خلون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: ٨٠٨هـ)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: ٨٠٨هـ)، المحقق: خليل شحادة، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨هـ -١٩٨٨ م، عدد الأجزاء:١، ص٦.

(٤) نفس المصدر، ص٥٠.

جميعها تصب في بوتقة واحدة، وهي التفكّر والتدبّر والنظر إلى ما حولنا من تجارب كونية حواها علم الاجتماع، فالرؤية تكون واضحة بمشاهدة الأمور على حقيقتها، والتفكّر والتدبُّر يكون أدق وأصوب كل ما كانت الرؤية أوضح، وكان ابن خلدون الرائد لهذا العلم.

الخطة البحثية:

يحمل هذا البحث ثلاثة مباحث، يتقدمهم مقدمة وهي عبارة عن ملخص يحتوي على فقرات متعددة بإيجاز، ثم يلي ذلك أهمية الدراسة، وأهدافها، وأسباب اختيار هذه الدراسة، والأصالة البحثية لهذه الدراسة، وفرضية الدراسة، والدراسات السابقة، وحدود الدراسة، ومنهجية الدراسة ثم المبحث الأول، الذي يحمل عنوان، (التعريف بابن خلدون ومكانته الاجتماعية والسياسية)، وفيه سبعة مطالب، الأول: التمهيد، والمطلب الثاني: اسمه ونشأته ومولده ووفاته، المطلب الثالث: مؤلفاته، المطلب الرابع: مشائخة، المطلب الخامس: المناصب الوزارية والأعمال السياسية، المطلب السادس: أقوال العلماء فيه، المطلب السابع: نكبة ابن خلدون. المبحث الثاني بعنوان: (أهمية علم الاجتماع للحضارة العمرانية والجوانب الإنسانية) وفيه سبعة مطالب، الأول: تعريف علم المجتمع الإنساني. المطلب الثاني: نشأة علم الاجتماع. المطلب الثالث: أهمية علم المجتمع، المطلب الرابع: مبادئ علم الاجتماع، المطلب الخامس: مناهج علم الاجتماع. المطلب السادس: منهجية ابن خلدون العلمية والفكرية، المطلب السابع: نظرة ابن خلدون لعلم المجتمع الإنساني، وفيه فقرات عدة، العرب عند ابن خلدون. التبعية والتقليد. تمترس الأنظمة بالدين. خوف الحكام من الشعوب. فساد القضاء والقانون. المساواة في المواطنة. التفرد بالحكم. عوامل هدم الدول وزوالها. الظلم مؤذن بخراب العمران. المفاضلة بين الشعب خراب الأنظمة وسقوط العروش. المبحث الثالث بعنوان: (مآلات الظلم وآثاره على الضروريات الخمس). وفيه أربعة مطالب: الأول: تعريف الظّلم. المطلب الثاني: أنواع الظلم ومراتبه. المطلب الثالث: حكم الخانعين للظلم والساكتين عنه. المطلب الرابع: آثار الظلم في هدم الضروريات الخمس، وفيه خمس فقرات، الفقرة الأولى: آثار الظلم على الدين. الفقرة الثانية: آثار الظلم على النفس. الفقرة الثالثة: آثار الظلم على العقل. الفقرة الرابعة: آثار الظلم على النسل. الفقرة الخامسة: آثار الظلم على الأموال. والخاتمة. وفيها النتائج. ثم ينتهي بالمصادر والمراجع.

أهمية الدراسة:

١- تعتبر الدراسات الاجتماعية البينية، أكثر نفعاً وأعظم فائدة للإنسان البشري، حيث تُقدَّم له تجارب بشرية متعددة ومتنوعة الفوائد.

٢- تجنب المجتمعات البشرية الوقوع في الأخطاء السابقة.

٣- تساعد المجتمع البشري على تجنب الأضرار الناتجة من الممارسات الخاطئة.

٤- تلهم الإنسان إلى التمسك بمسلك التقدم الحضاري، وترشده إلى أفضل الطرق وأنجح الوسائل في تحقيق الأهداف التي يسعى إليها المجتمع البشري.

٥- الدراسات الاجتماعية البينية تختصر للأمم الكثير من التكاليف المالية، وتوفر لهم الجهد والوقت الكافي في إنجاز المشاريع الحيوية بأقل التكاليف المالية والبدنية.

أهداف الدراسة:

١- إبراز العلاقة بين العلوم البينية الاجتماعية، والنصوص السماوية، والتعرف على فلسفة العلوم الاجتماعية البينية والاستفادة منها.

٢- الإسهام في خدمة المجتمع الإنساني، والجنس البشري، وعرض وقائع حقيقية تبين عواقب الظلم، وآثاره التدميرية على أمن المجتمعات البشرية واستقرارها.

٣-السعي إلى ردم الفجوة بين العلوم الشرعية والعلوم الاجتماعية، وتسخيرهما في خدمة المجتمعات البشرية.

٤- والتعرف على جهود وإسهامات الإمام ابن خلدون في علم الاجتماع، والوقوف على الخصائص التي تميز بها عن غيره من علماء.

أسباب اختيار هذه الدراسة:

الدافع لاختيار هذا البحث ما يجري في وطني "اليمن" من مآسي، وما أصابه من نكبات تضرر منها الظالم قبل المظلوم، فتفحصت وتمعنت في سبب ذلك؛ فوجدت أن السبب الوحيد من أوله إلى آخره.

١-حاجة المجتمعات البشرية إلى الوقوف على مصير الظلمة وعاقبة المجرمين.

٢- انتشار الظلم وتسلط المستبدين، وفساد الحكام، وجشع السلاطين.

٣-خنوع الشعوب ورضاهم بالذل والاستبداد ومعاونتهم على ظلمهم.

الأصالة البحثية للدراسة:

الذي تتميز به هذه الدراسة عن غيرها من الدراسات البحثية السابقة، أنها تجمع بين علمين مهمين علم النصوص الشرعية، وعلم العلوم الاجتماعية والإنسانية، كما أن هذه الدراسة تجمع بين العلم النظري والعلم التطبيقي، وتستعرض أهم أحداث الماضي، ومآلات الحاضر، وتهتم بتحليلها وكشف أسبابها وملابستها من وجهة التشريع الإسلامي، مع فلسفة علم الاجتماع الإنساني.

فرضية الدراسة:

يفترض من خلال هذه الدراسة أن يتضح، أهمية العلاقة بين العلوم الشرعية والعلوم الاجتماعية والإنسانية، والاستفادة من علم الاجتماع الإنساني وتوظيفه في خدمة العلوم الانسانية، ومعرفة مخاطر الظلم ونهاية الظلمة، والعوامل التي يقوم بها العمران وتقوى بها الدول، أو تنهدم وتزول، كما

يفترض من هذه الدراسة معرفة الجهود التي قام بها ابن خلدون في دراسة التاريخ وتوظيفها في خدمة العلوم الاجتماعية، وجهوده في تأسيس علم الاجتماع على أسسه الحديثة، ومدى قدرته على تقويم الحضارات والعمران ورصد أهم العوامل التي تقوم عليها.

الدراسات السابقة:

تعتبر العلوم الاجتماعية والإنسانية ذات طابع متميز تنطلق منه الحضارات العمرانية، وترتفع به المجتمعات الإنسانية، ولهذا وجد علم لاجتماع الإنساني اهتمام بارز وملحوظ من قبل الكثير من الباحثين، وبالخصوص جهود ابن خلدون ونظرياته في علم الاجتماع الإنساني، والتقويم الدقيق للحضارات العمرانية، كان أبرز هذه الدراسات العمران البشري في مقدمة ابن خلدون: سفتيلانا باتسييفا. – العلامة ابن خلدون: إيف لاكوست. – السياسة والدين عند ابن خلدون: جورج لابيكا. – فلسفه ابن خلدون الاجتماعية – تحليل ونقد: طه حسين. – النظرية الإسلامية لابن خلدون دراسة مقارنة: محمد محمود ربيع. – الأسس الإسلامية في فكر ابن خلدون ونظرياته: مصطفى الشكعة. – ابن خلدون: عماد الدين خليل. كتاب ابن خلدون وميكافيلي عبد الله العروي، والتي تظيفه هذه الدراسة هو التركيز على جوانب خاصة من علم الاجتماع وعلاقته بالحضارة العمرانية، والعوامل المؤثرة عليها سلبا وإجابا، ودور الظلم بخراب العمران، والخصائص التي يتسم بها الملوك والاطوار الخمسة التي تمر بها الدول، والمراحل الثلاثة التي تهرم فيها وتزول.

حدود الدراسة:

ستدور هذه الدراسة حول العلوم الشرعية، وعلم الاجتماع الإنساني، وسوف تركز على النظريات الخلدونية التي تتعلق بالحضارات العمرانية وازدهارها، والأسباب المؤدية إلى زوالها وفنائها من الوجود، كما ستبحث هذه الدراسة الحقائق التي أشار إليها ابن خلدون في مقدمته ونظرته لحالة الملوك وممالكهم والعوامل التي توثر في الحضارات العمرانية والإنسانية، وموقفه من الجنس العربي وما يتمتع به من خصائص ومميزات. كما ستستعرض هذه الدراسة الأضرار التي يخلفها الظلم على العمران والحضارة البشرية، وموقف الشرع من الظلم والظلمة ومن سكت عنه أو ارتضاه لغيره أو حتى لنفسه.

منهجية الدراسة:

الاستقراء: ومن أجل تحقق أهداف البحث، اعتمد الباحث على منهجية الاستقراء لمقدمة ابن خلدون والوقوف على الفقرات التي تخص البحث، والقيام بمناقشتها وعرضها على النصوص الشرعية، والتعرف على مدى التوافق بين الكثير من النظريات الخلدونية والنصوص الشرعية.

التحليل: وبعد الاطلاع على المحتويات العلمية في علم الاجتماع وعلم التشريع الإسلامي، حسب المعطيات المعلوماتية المستفادة من مصادرها الأساسية، قام الباحث بتحليل هذه النظريات ومعرفة

الأسباب والعوامل التي تقوم عليها الأحداث التاريخية، والوقوف على المرتكز الأساسي لهذه العوامل التي تم تحديدها مسبقا في الأهداف وهو الظلم مؤذن بزوال الأمم وخراب العمران.

المقارنة: لم يهمل الباحث المقارنة بين النظريات الاجتماعية التي أشار إليها عالم الاجتماع ابن خلدون، وبين النصوص الشرعية حتى نستيقن من حقيقة فكر ورأي ابن خلدون في مدى قدرته ودقة نظريته للتاريخ ومعرفته للأحداث، وقدرته على تحليل الأسباب والعوامل للحياة الاجتماعية والسياسية ولاقتصادية والعسكرية، وخصائص الشعوب ومواطن القوة والضعف لدى الأمم والدول والشعوب.

المبحث الأول

التعريف بابن خلدون ومكانته الاجتماعية والسياسية

المطلب الأول: التمهيد

يعتبر ابن خلدون أول من أنار العلوم الاجتماعية، وهو أول من حاول تسخيرها لدراسة التاريخ، وهو أول من مهد الطريق لظهور نمط جديد من التعامل مع الفكر الاجتماعي، فابن خلدون حاول استنباط قوانين الاجتماع من حوادث التاريخ ووقائعه، وكسر قاعدة الثقافة العربية التي يعلوها روح التعصب حيث وضح خصائص العرب وحلاتهم النفسية ونزعتهم الشريرة تجاه الآخرين، وأن هذا العرق العربي لا يصلحه إلا رسالة سماوية، ومع هذا لم نجد من يبرز لنا شخصية ابن خلدون بالصورة المشرقة التي تميز بها؛ لأن الأمة الإسلامية أخفقت في الكثير من العلوم والفنون الاجتماعية والإنسانية والفلسفية؛ بل ربما عادوا هذا الفن تحت ذريعة أن المسلمين لديهم في القرآن الكريم ما يكفيهم عن العلوم الأخرى، متناسين أن القرآن الكريم فيه الكثير من العلوم الإنسانية التي أشار إليها في بعض الآيات كما سيرد معنا. يعتبر ابن خلدون أول من مزج في كتاباته التاريخية والاجتماعية بالعلوم الشرعية، وكان له إدراك واسع بعلم الفقه والأصول، والعلوم الشرعية، وقد كانت العلوم الشرعية مصدر إلهامه للعلوم الإنسانية والاجتماعية والعمرانية. يقول في مقدمته: وهذا الفنّ الّذي لاح لنا النّظر فيه نجد منه مسائل تجري بالعرض لأهل العلوم في براهين علومهم وهي من جنس مسائل الطّلب مثل ما يذكره الحكماء والعلماء في إثبات النّبوّة من أنّ البشر متعاونون في وجودهم فيحتاجون فيه إلى الحاكم والوازع[٥]. وقال: ومثل ما يذكر في أصول الفقه في باب إثبات اللّغات أنّ النّاس محتاجون إلى العبارة عن المقاصد بطبيعة التّعاون والاجتماع وتبيان العبارات أخفّ، ومثل ما يذكره الفقهاء في تعليل الأحكام الشّرعيّة بالمقاصد في أنّ الزّنا مخلط للأنساب مفسد للنّوع وأنّ القتل أيضا مفسد للنّوع وأنّ الظّلم مؤذن بخراب العمران المفضي لفساد النّوع[٦]. فالإنسان

(٥) الوازع ج وزعة ووزّاع: من يدبّر أمور الجيش، الزاجر. (قاموس).

(٦) ابن خلون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: ٨٠٨هـ)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، المحقق: خليل شحادة، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م، عدد الأجزاء:١، ص٥٠.

والبيئة والجهود الفردية والتنظيمات الاجتماعية والتشريعات السماوية كلها مترابطة بعضها مع بعض، من وجهة نظر ابن خلدون، وتم تحليل ذلك على ضوء أساس العلوم الشرعية. وقد رأى ابن خلدون حوله أممًا كثيرة تعيش بغير دين منزَّل وأن لها ملكًا واسعًا وسلطانًا قاهرًا وأنظمة مرعية، وقوانين مطاعة وجيوشًا فاتحة ومدنًا عامرة آهلة؛ ورأى أن الأمم التي انتشرت فيها الأديان المنزلة تعد أقلية بجانب الأمم الأخرى، وهذا صحيح أن أهل الكفر أكثر عدد من أهل التوحيد، وهو ثابت في الصحيحين: عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يقول الله عز وجل: يا آدم فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك، قال يقول: أخرج بعث النار قال: وما بعث النار قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين قال: فذاك حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد" قال: فاشتد ذلك عليهم قالوا: يا رسول الله أينا ذلك الرجل؟ فقال: «أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج ألفا، ومنكم رجل» قال: ثم قال: «والذي نفسي بيده، إني لأطمع أن تكونوا ربع أهل الجنة» فحمدنا الله وكبرنا. ثم قال: «والذي نفسي بيده، إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة» فحمدنا الله وكبرنا. ثم قال: «والذي نفسي بيده، إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة، إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو كالرقمة في ذراع الحمار[٧]» فاستنبط من ذلك الرأي القائل بعدم ضرورة النبوة لتأسيس الممالك والدول؛ إلا أنه يرى إن النبوة وإن لم تكن ضرورية لتأسيس الممالك العادية، إلا أنها ضرورية لتأسيس الممالك الراقية القريبة جدًّا من الكمال؛ لأن المملكة التي تشاد على أساس النبوة تجمع بين منافع الدنيا ومنافع الدين[٨].

ونخلص إلى أن ابن خلدون عبقري عربي متميز، موسوعة علمية فريدة، متعدد المعارف والعلوم، المؤسس الأول لعلم الاجتماع على النسق الفلسفي الحديث، ومتميز في علم التاريخ، وأحد رواد فن الترجمة الذاتية. ومجدد في مجال الدراسات التربوية، وعلم النفس التربوي والتعليمي، كما كان له مساهمات في تجديد أسلوب الكتابة العربية، وتحريرها من السجع والإطناب الممل والمخل.

المطلب الثاني: اسمه ونشأته ومولده ووفاته

وأما اسمه فهو يعرف بعبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، من سلالة وائل بن حجر. ولد بتونس في٢٧ مايو/أيار١٣٣٢م، بداية شهر رمضان عام ٧٣٢هـ، وأسرته تنحدر من حضرموت جنوب الجزيرة العربية، دخل أحد أجداده، وهو خلدون بن عثمان، إلى الأندلس في نهاية القرن الثالث الهجري، واستقر في إشبيلية نشأ فيها؛ وتنقل المصادر عن ابن خلدون أن أحد أجداده كان صحابيا في عصر النبوة، ولقي حتفه في إحدى المعارك على عهد الخليفة علي بن أبي طالب،

(٧) البخاري، صحيح البخاري، ص ١١٠.

(٨) ابن خلون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: ٨٠٨هـ)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ص٥٦.

بينما سطع نجم الأسرة الخلدونية في العهد الأموي، في المجالين السياسي والعسكري، قبل أن تنكب بسقوط هذه الدولة، ولم يستعيدوا أمجادهم إلا بعد هجرتهم إلى الأندلس، وتحديدا في العهد الموحدي[٩]، ليضطروا بعد سقوط حكم الموحدين إلى النزوح من إشبيلية إلى مدينة سبتة المغربية، ومنها انتقلوا إلى أفريقية (تونس الحالية) على عهد الدولة الحفصية[١٠]، حيث نالوا الحظوة والمكانة من جديد؛ ورحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والأندلس، وتولى أعمالا، واعترضته دسائس ووشايات، توفي سنة ثمان وثمانمائة يوم الأربعاء لأربع بقين من شهر رمضان، ودفن بمقابر الصّوفية خارج باب النصر، وله ست وسبعون سنة وخمسة وعشرون يوما[١١].

المطلب الثالث: مؤلفاته

وقد كانت له مؤلفات كثيرة ومصنفات عديدة، أشهرها: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر، في سبعة مجلدات، أوّلها (المقدمة) وهي تعد من أصول علم الاجتماع، ترجمت هي وأجزاء منه إلى اللغة الفرنسية وغيرها؛ ذكر فيه نسبه وسيرته وما يتصل به من أحداث زمنه؛ ثم أفرد هذا الفصل، فتبسّط فيه، وجعله ذيلا للعبر، وسماه: (التعريف بابن خلدون، مؤلف الكتاب، ورحلته غربا وشرقا) ومن كتبه (شرح البردة) وكتاب في (الحساب) ورسالة في (المنطق) و(شفاء السائل لتهذيب المسائل) وله شعر[١٢].

---

(٩) الدولة الموحدية دولة إسلامية أسسها الموحدون في القرن الثاني عشر. حكمت بلاد المغرب (المغرب، الجزائر، تونس، ليبيا (والأندلس بينستي ١١٢١م و١٢٦٩م، أسسها محمد بن تومرت واستطاع عبد المؤمن بن علي لكومي (١١٣٠م/١١٣٣م، ١١٦٣م)، أن يستحوذ على المغرب الأقصى (سقوط مراكش عام ١١٤٧م) والمغرب الأوسط ومن ثم على كامل إفريقية حتى تونس وليبيا عام ١١٦٠م، والاندلس(١١٤٦م، ١١٥٤م) عاصمتها مراكش. كانت إشبيلية مقر الوالي الموحدي على الأندلس. تاريخ ابن خلدون العلامة عبد الرحمن بن خلدون المغربي ج١.

(١٠) الدولة الحفصية هي الدولة الإسلامية الرابعة بالبلاد التونسية بعد الدولة الأغلبية، الفاطمية والزيرية وقد دامت ٣٤٧ سنة هجرية. حكمها الحفصيون، ومؤسسها هو أبو زكرياء يحيى الحفصي بن أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص الهنتاتي: نسبة إلى هنتاتة إحدى فروع قبيلة لمصامدة البربرية التي كانت تقيم قرب مرّاكش بالمغرب الأقصى. وقد تمكن من تأسيسها عندما كان واليًا من قبل الدولة الموحدية بالمغرب الأقصى التي كانت البلاد التونسية تابعة لها منذ أن أصبحت في حوزتها سنة (٥٥٥هـ -١١٦٠م)، إذ اغتنم فرصة تراجع أمر خلفاء تلك الدولة وضعفهم، واختلال سلطتهم، فأعلن الاستقلال، وتأسيس الدولة الحفصية فلم يلقَ أية معارضة من أحد، وانقادت إليه البلاد طائعة - وذلك سنة ٦٣٤هـ -١٢٣٧) مجده أبو حفص كان من الذين ساعدوا عبد المؤمن بن علي الكومي، وأحرز بفضل تلك المساعدة على منزلة رفيعة في تلك الدولة. تاريخ الجزائر في القديم الحديث، مبارك بن محمد الميلي الجزائري (المتوفى: ١٣٦٤هـ)، تقديم: محمد الميلي، الناشر: المؤسسة الوطنيّة للكتاب بالجزائر، عام النشر: ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م، عدد الأجزاء: ٢. ج٢، ص٣١١.

(١١) الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ) الأعلام، الناشر: دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر - أيار/ مايو ٢٠٠٢ م، ج٣، ص٢٥٧. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ)، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م، عدد الأجزاء:١١، ج٩، ص١١٥.

(١٢) الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات، المحقق: أحمد، الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، الوافي بالوفيات، عام النشر:٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ٢٩، ج٢، ص٨٢.

المطلب الرابع: مشايخه

أخذ العلم عن جمهرة من العلماء، فقد سمع بعض "صحيح البخاري" على أبي البركات البلقيني والموطأ على ابن عبد السلام و"صحيح مسلم" على الوادي آشي، وقرأ القراءات على أبي عبد الله بن نزال، ومختصر ابْن الْحَاجِب الفرعي والتسهيل فِي النَّحْو، وأخذ العربية عن أبيه، وأبي عبد الله السايري، وغيرهما، وأخذ الفقه عن قاضي الجماعة ابن عبد السلام، وغيره، وأخذ عن عبد المهيمن الحضرمي، ومحمد بن إبراهيم الإربلي، وبرع في العلوم، وتقدم في الفنون، ومهر في الأدب والكتابة(١٣).

المطلب الخامس: المناصب الوزارية والأعمال السياسية

تقلد الإمام ابن خلدون وولي الكثير من المناصب في بلدان عدة، فكان ابن خلدون دبلوماسياً حكيماً، أُرسل في أكثر من وظيفة دبلوماسية لحل النزاعات بين زعماء الدول، وعينه السلطان محمد بن الأحمر(١٤) سفيراً له إلى أمير قشتالة للتوصل لعقد صلح بينهما وكان صديقاً مقرباً لوزيره لسان الدين بن الخطيب؛ كان وزيراً لدى أبي عبد الله الحفصي سلطان بجاية، وكان مقرباً من السلطان أبي عنان، واستعان به أهل دمشق لطلب الأمان من الحاكم المغولي القاسي تيمورلنك، وتم اللقاء بينهما. وقد وصف ابن خلدون ما رآه من طباع الطاغية، ووحشيته في التعامل مع المدن التي يفتحها(١٥). ساهم في الدعوة للسلطان أبى حمو الزيانى سلطان تلمسان بين القبائل بعد سقوط بجاية في يد سلطان قسنطينة أبى العباس الحفصى وأرسل أخاه يحيى بن خلدون ليكون وزيراً لدى أبى حمو؛ وولي كتابة السر بمدينة فاس لأبي عنان، ولأخيه أبي سالم، ثم تنقل في البلاد متقلدا مناصبا مختلفة، ثم رجع إلى تونس فأكرمه سلطانها، ثم حاول نفر من الناس الإساءة إليه عن طريق تأليب السلطان عليه، فعلم بالأمر، فما كان منه إلا أن رحل إلى المشرق، فحطّت به رحاله في القاهرة، فأكرمه سلطان مصر في ذلك العصر السلطان برقوق، وولي قضاء المالكية فيها، ثم عزل، وولي مشيخة المدرسة البيبرسية، ثم عزل عنها أيضا، ثم ولي القضاء مرارا، آخرها ثم مات في رمضان من سنة ثمان وثمانمائة(١٦).

---

(١٣) العَكري، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م، عدد الأجزاء: ١١، ج١، ص٧١. الفاسي، محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي (المتوفى: ٨٣٢هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، عدد الأجزاء: ٢، ج٢، ص١٠٠.

(١٤) محمد بن يوسف بن محمد، المعروف ابن الأحمر الخزرجي الانصاري، مؤسس دولة بني الاحمر، في الاندلس، حكم مملكة غرناطة بين عامي (١٢٣٨-١٢٧٣)، عقد الصلح مع طاغية الروم فرناندو الثالث، (سنة ٦٤٣). الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، الأعلام، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار/ مايو ٢٠٠٢م، ج٧، ص١٥١.

(١٥) ابن خلون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج٤، ص٥١٩.

(١٦) العَكري، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج١، ص٧١.

المطلب السادس: آراء العلماء في ابن خلدون:

علماء العرب يعتبر ابن خلدون محل إعجاب الكثير من المفكرين والمثقفين قديما وحديثاً، سواء كان على مستوى العلوم الشرعية، أو العلوم التاريخية، أو علم الفلسفة الاجتماعيه، فقد طارت شهرته في الأفق وانتشرت شرقاً وغرباً. قال عنه لسان الدين بن الخديب[١٧]، في كتابه الإحاطة في أخبار غرناطة: الرجل الفاضل حسن الخلق، جمّ الفضائل باهر الخصال، رفيع القدر، ظاهر الحياء، أصيل المجد، وقور المجلس، خاصّيّ الزّيّ، عالي الهمّة، عزوف عن الضّيم، صعب المقادة، قوي الجأش، طامح لقنن[١٨] الرئاسة، خاطب للحظّ، متقدّم في فنون عقلية ونقلية، متعدّد المزايا، سديد البحث، كثير الحفظ، صحيح التّصوّر، بارع الخطّ، مغرى بالتجلّة[١٩]، جواد الكفّ، حسن العشرة، مبذول المشاركة، مقيم لرسوم التّعين، عاكف على رعي خلال الأصالة، مفخرة من مفاخر التّخوم المغربية[٢٠]. وقال عنه ابن حجر العسقلاني: وصنّف التاريخ الكبير في سبع مجلّدات ضخمة ظهرت فيه فضائله وأبان فيه عن براعته[٢١]. قال البشبيشي[٢٢]: كان فصيحا مفوها جميل الصورة حسن العشرة إذا كان معزولا فأما إذا ولي فلا يعاشر بل ينبغي أن لا يرى[٢٣]. وقال المقريزي في وصف تاريخ مقدمته: لم يعلم مثالها وأنه لعزيز أن ينال مجتهد منالها، إذ هي زبدة المعارف والعلوم، ونتيجة العقول السليمة والفهوم، توقف على كنه الأشياء، وتعرف حقيقة الحوادث والأنباء، وتعبر عن حال الوجود وأصل كل موجود بلفظ أبهى من الدر النظيم وألطف من الماء مر به النسيم[٢٤]. وقال

---

(١٧) محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السّلماني الخطيب الشهير لسان الدين ابن الخطيب، كان علامة ، فكان شاعرا وكاتبا وفقيها مالكيا ومؤرخا وفيلسوف وطبيبا وسياسيا من الأندلس درس الأدب والطب والفلسفة في جامعة القرويين بمدينة فاس قضّى معظم حياته في غرناطة في خدمة بلاط محمد الخامس، الزركلي، الأعلام، ج٧، ص١٥١.

(١٨) طامح في المشاركة في هرم الرئاسة، هذا هو المقصود من العبارة. فيما أظن لأن القن هي أعلى الشيء وقنة الجبل أعلاه. ابن منظور، لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، الناشر: دار صادر– بيروت، الطبعة الأولى، عدد الأجزاء: ١٥. ج١٣، ص ٣٤٨.

(١٩) التَّناهِي فى عِظَمِ القَدْر. إبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار، المعجم الوسيط ـ دار النشر: دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية، عدد الأجزاء: ٢. ج١، ص١٣١.

(٢٠) الخطيب، محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل، الغرناطي الأندلسي، (المتوفى:٧٧٦هـ) الإحاطة في أخبار غرناطة، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ، عدد الأجزاء: ٤، ج٣، ص٣٧٨.

(٢١) ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، إنباء الغمر بأبناء العمر، المحقق: د حسن حبشي، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، عام النشر:١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م، عدد الأجزاء: ٤. ج٢، ص٣٤٠.

(٢٢) البشبيشي، إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الأمير صارم الدين بن القاضي نجم الدين البشبيشي المولد المصري الشافعي المهمندان ويعرف بابن الشهيد. ولد في سنة إحدى وثمانين وسبعمائة بمدينة بشبيش حين كان أبوه كاتب سرها وقرأ بها بعض القرآن ثم انتقل مع والده إلى القاهرة فأكمله بها وحفظ العمدة وسمع الصحيح على ابن أبي المجد وختمه على التنوخي والعراقي والهيثمي، ولي المهمندارية سنة عشرين وثمانمائة فدام فيها مدة وكان نيراً حسن الشكل كتب ومات في يوم الخميس سابع عشر ذي الحجة منها بالقاهرة وصلى عليه بجامع الأزهر. السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت، عدد الأجزاء:٦، ج١، ص٧٨.

(٢٣) المصدر نفسه، ج٤، ص١٤٧.

(٢٤) المصدر نفسه، ج٤، ص١٤٧.

العيني كان فاضلا صاحب أخبار ونوادر ومحاضرة حسنة وله تاريخ مليح[٢٥]. وترجمه ابن عمار أحد من أخذ عنه فقال الأستاذ المنوه بلسانه سيف المحاضرة كان يسلك في أقرائه للأصول مسلك الأقدمين كالغزالي والفخر الرازي[٢٦]. علماء الغرب: يَرَى الباحث الأكاديمي (ويفرد ناتانيل شميث) أن ابن خلدون يمثل أكبر مؤرخ اجتماعي وفيلسوف، وقد وازنَ بينه وبين عدة مؤرخين عالميين أمثال (تيودور) الصقلي و(نقولا) الدمشقي، و(تروجويومبيو) أحد كبار مؤرخي القرن الأول الميلادي، و(جاتيرر) و(شلستر) اللذين يعدَّان من مشاهير المؤرخين في القرن١٨م، كما يؤكد هذا الباحث أن ابن خلدون يعدُّ مكتشف ميدان التاريخ الحقيقي، لأنه أول من عالجه كعلم يختصُّ بدراسة الحقائق. إن هذا الرجل يمثل فيلسوفا مسلما متميزا يضارع (أوجست كونت)، و(توماس بكل)، و(هربرت سبنسر). يَذْكُرُ المؤرخ (فون فيسيندونك) في بحثه المنشور بمجلة (دويتشه رونتشاور) أنَّ ابن خلدون يعدُّ بالفعل مؤرخ الحضارة العربية الإسلامية في القرن الرابع عشر، كما يشيد هذا المؤرخ بمبادئ هذا العلاَّمة العربي الذي يدعو إلى التأمل الصادق الدقيق، حيث يرى أنه ينتصب وحيدًا كمؤرخ للحضارة الإسلامية العظيمة في المشرق، ولم يعقبه أي خلف أو ينحو نحوه أي باحث، إذ إن ميوله كمفكر سياسي إفريقي تتجلَّى من خلال تحليله للأحداث والوقائع المتنوعة المشكلة لموضوعاته التي مازال صيتها ساريا في جل الديار والأمصار الغربية[٢٧]. وقال ويليام جيمس ديورانت: وألف مجموعة من الكتب تعتبر قمة مثيلاتها في هاتيك الأيام. وفاق بحثه في الجغرافيا "تقويم البلدان" في اتساع مداه، أي مؤلف أوربي من نوعه في عصره، وقد قدر فيه أن الماء يغطي ثلاثة أرباع الكرة الأرضية، وأشار إلى السائح حول العالم يكسب أو يفقد يوماً في مسيرة غرباً أو شرقاً، وكان كتابه "المختصر في أخبار البشر" هو التاريخ الإسلامي الأساسي المعروف لدى الغرب[٢٨]. وقال المؤرخ البريطاني آرنولد توينبي[٢٩] في كتابه "دراسة التاريخ، قال: "أن ابن خلدون"

---

(٢٥) المصدر نفسه، ج٤، ص١٤٨.

(٢٦) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، الناشر: دار المعرفة بيروت، عدد الأجزاء: ٢، ج٤، ص١٤٨.

(٢٧) عبد الجليل غزالة، تأثير ابن خلدون في العلماء الغربيين، https://anfasse.org

(٢٨) ول ديورَانت = ويليام جيمس ديورَانت (المتوفى: ١٩٨١ م) قصة الحضارة، تقديم: الدكتور محيي الدّين صَابر، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين، الناشر: دار الجيل، بيروت - لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونسعام النشر: ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، عدد الأجزاء:٤٢، ج٢٦، ص٧٦.

(٢٩) أرنولد توينبي، مؤرخ إنكليزي له عدة مؤلفات أهمها: (دراسة التاريخ) في اثني عشر جزءاً. يقول بأن الحضارات تتقهقر بضعفٍ يطرأ على قوة الإبداع، ويؤمن بأن زوال حضارة ما أمرٌ لا مفرّ منه. مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، إشراف وتقديم: المحامي عمر، مسقاوي، الناشر: دار الفكر المعاصر - بيروت لبنان/ دار الفكر-دمشق سورية، الطبعة: ٢٠٠٢م، ط١، عدد الأجزاء:١، ص٤٦. قلت: وهذا الذي نأمن به ونعتقد، ونشاهده، وهو الذي يتوافق مع النصوص الشرعية، ففي الأثر (تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكًا عاضًا فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكًا جبرية فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة (فهذا النص صريحا على تقلب الأمم وزوال الدول). خرج هذا ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى:٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط-عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١ م، ج، ٣٠، ص٣٥٥.

من أعظم من قدم فلسفة للمجتمعات الحضرية والبداوة، وحلّل من خلال كتابة المقدمة مختلف الظواهر الأيديولوجية والسياسية والاقتصادية التي تسهم في البناء المتشابك للمجتمع الإنساني[٣٠]. وقد أكثر العلماء من الثناء على عالم الأمة الإسلامية في علم الاجتماع والتاريخ والفلسفة، كما نقده الكثير من علماء عصره ومن بعده وما لوحظ عليه من ملاحظات، قد يصح منها البعض، وقد يبطل منها الكثير. والمقصد هنا ليس الدراسة المقارنة بين المادحين وغيرهم من الناقدين والناقمين.

المطلب السابع: نكبة ابن خلدون

عاش العلاّمة الكبير ابن خلدون في عصر مضطرب؛ تميز بالهزائم والانكسارات ليس على مستوى العالم فقط؛ بل على مستواه الشخصي أيضًا، فقد نُكِبَ غير مرة بأحبابه وأسرته، ولم يشأ له القدر أن يسكن بلدًا واحدًا، أو أن يمتهن عملاً محددًا؛ فقد تنقَّل من الأندلس حتى بلاد الشام، وشهد بنفسه تسليم غرناطة ودمشق؛ ورأى ابن خلدون بأمِّ عينه انهيار الحضارات، وسيطرة القوى وغطرستها عند النصر، وقد التقى ابن خلدون ملكَ قشتالة (بدرو) أثناء محاولته بسطَ نفوذه على ما تبقَّى من مدنٍ في بلاد الأندلس، والتقى أيضًا (تيمور لنك) وهو يحاصر مدن الشام وينهبها، ثُمَّ يحرقها، أي أنه رأى الانهياراتِ في شرق العالم الإسلامي وغربه، كما رأى كيف تموت الدول وكيف تنشأ[٣١]. أمّا على المستوى الشخصي فقد طاردته الدسائس والمؤامرات التي قادها خصومه بعد أن ارتقى المراتب السياسة، ونال الحظوة الواسعة عند أبي عنان. فاشتدت نار الحسد والغبن في نفوس خصومه، الذين سعوا إلى بلوغ ما بلغ من شأن، فأوقدوا شرارة الغضب في نفس الأمير أبي عنان، بعد أن اتهموا ابن خلدون بالسعي وراء الفتنة ونزع الحكم من يده والتآمر ضده، فقبض عليه وزجه في السجن، وهو في ذلك يقول": كثر المنافسون، ورفعوا إلى السلطان، وقد طرقه مرض أرجف له الناس، فرفعوا له أن الأمير أبا عبد الله اعتزم على الفرار إلى بجاية، وأني عاقدته على ذلك، على أن يوليني حجابته، فانبعث لها السلطان، وسطا بنا، واعتقلني نحوا من سنتين إلى أن هلك[٣٢]. وقد غرقت أسرة ابن خلدون في مرسى الإسكندرية وهي قادمة إلى مصر من تونس، قال ابن خلدون: وحملها في البحر في السّفين الواصل بأهلي وولدي، فغرقت بمرسى الإسكندرية، ونفقت تلك الجياد، مع ما ضاع في ذلك السّفين، وكلّ شيء بقدر[٣٣]. ولم يتبق له ولد ولا قريب فتكدرت حياته، وضاقت عليه الأرض بما رحبت، وهذه الحادثة تعد أحد أسباب اعتزال ابن خلدون للسياسة، ومن ثمار الاعتزال للسياسة، تأليف كتاب المقدمة الذي هو بين أيدينا.

(٣٠) المصدر الجزيرة، زهير حمداني، ابن خلدون.. عبقرية وريادة، ٢٠١١. https://www.aljazeera.ne
(٣١) راغب السرجاني، ابن خلدون مفخرة الإسلام، http://iswy.co http://iswy.co/e12r3t
(٣٢) ابن خلون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ص٥٥٨.
(٣٣) ابن خلون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ص٥٥٨.

المبحث الثاني

أهمية علم الاجتماع للحضارة العمرانية والجوانب الإنسانية

المطلب الأول: تعريف علم الاجتماع الإنساني

علم الاجتماع لغة: الجمع: ضم الشيء بتقريب بعضه من بعض. يقال: جمعته فاجتمع[٣٤]. ومنه الحديث: (بع الجمع بالدراهم، ثم ابتع بالدراهم جنيبا)[٣٥]». وقال الأصمعي: الجمع كل لون من النخل لا يعرف اسمه فهو جمع. وقال ابن دريد: يوم الجمع: يوم القيامة[٣٦]. فالمعنى دائر في استعماله حول تأليف المتفرق، واتفاق المختلف، سواء في الرأي، أو في العرق، أو الجنس، أو اللون، وانضمام بعضهم لبعض، مع الألفة، والاتفاق على غرض واحد، وفكرة مشتركة[٣٧].

وفي الاصطلاح: وعرفه ابن خلدون علم الاجتماع على أنه خبر عن الاجتماع الانسانيّ الّذي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التّوحّش والتّأنّس والعصبيّات وأصناف التّغلّبات للبشر بعضهم على بعض وما ينشأ عن ذلك من الملك والدّول ومراتبها وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصّنائع وسائر ما يحدث من ذلك العمران بطبيعته من الأحوال[٣٨]. وعرفه عاطف رفاعي، فقال: هو علم يقوم بدراسة المجتمع في ظواهره ونظمه وبنيته، والعلاقات بين أفراده... أو هو: علم يقوم بدراسة نواحي الحياة الاجتماعية، ومقوماتها الأساسية، والسمات العامة، والقوانين المنظمة لها[٣٩]. ويفهم من التعريفات أن علم الاجتماع هو الدراسة العلميّة لسلوك الأفراد الاجتماعيّ، وللأساليب التي ينتظم بها المجتمع باتباع أُسس المنهج العلميّ، حيث يهتمّ بالأفراد والمجتمع ودراسة العلاقة بينهم، وتأثير هذه العلاقة في كل طرف منهما[٤٠].

---

(٣٤) الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، ج٢٠، ص٤٥١.

(٣٥) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، عدد الأجزاء: ٩، ج٣، ص٩٨. عرف الجنيب، وهو خيار التمر انظر العيني عمدة القاري ١٣١/١٢

(٣٦) الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، المحقق: مجموعة من المحققين، ج٢٠، ص٤٥١.

(٣٧) رفاعي، عاطف إبراهيم المتولي رفاعي، صور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم - دراسة في التفسير الموضوعي، إشراف فضيلة الدكتور: حاتم محمد منصور مزروعة، الناشر: رسالة ماجستير، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية (ماليزيا)، عام النشر: ١٤٣٢هـ ٢٠١١ معدد الأجزاء: ١، ص١٨٤.

(٣٨) ابن خلون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج١، ص٤٦.

(٣٩) رفاعي، صور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم - دراسة في التفسير الموضوعي، ص١٨٤.

(٤٠) رفاعي، عاطف إبراهيم المتولي رفاعي، صور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم - دراسة في التفسير الموضوعي، ص١٨٤.

المطلب الثاني: نشأة علم الاجتماع

نشأ علم الاجتماع كغيره من فروع المعرفة الإنسانية، بين أحضان الفلسفة وضل الفلاسفة، يشيرون إلى ظواهره وموضوعاته من خلال تناولهم للقضايا الفلسفية، وبقى هذا الشأن حتى اكتمل نصابه إلى مرتبة العلم المستقل، له مجالاته الخاصة وقوانينه الدقيقة، كغيره من العلوم الأخرى، وله مناهج دراسية علمية صحيحة قائمة على الملاحظات والتجربة والتحليل والاستنتاج، ووضع فروضا ومحاولة اختبارها. واستطاع العلماء المعاصرون، من الوصول إلى استنتاج قوانين أمكن صياغتها في صور كمية؛ بل ومعادلات رياضية، ورسوم بيانية تعبر عن الحياة الاجتماعية بأدق النتائج(٤١). فمن أراد أن يعرف نشأة علم الاجتماع أن يعود إلى الفلاسفة وعلم الفلسفة يتبع تاريخها الذي سوف يقوده إلى معرفة حقيقة نشأة فلسفة علم الاجتماع.

ولهذا يرى الكثير من المثقفين في علم الفلسفة وعلم الاجتماع أن فضل نشأة علم الفلسفة إلى اليونان باعتبارها أول صور تفكير الإنسان المنظم؛ لكن هذا الاعتقاد والتسليم بهذا الرأي يهضم كثيراً الفلسفة الشرقية، فقد شيدت حضارات ونشأت دول وممالك وقصور ومدن، وصيغ فيها قوانين وساد فيها النظام كان على مستوى الجزيرة العربية حين كانت اليمن أرضا خصبة لكل الحضارات القديمة ومن عدة مكونات الدولة الحديثة من مشاريع المياه والبساتين والقصور ناطحات السحاب، أو ما كان في مصر من حضارة ضاربة في أعماق التاريخ القديم، وكذلك الهند والصين فهما من أقدم من عرف الحياة المجتمعية بجميع أسسها ومقوماتها التجارية والسياسية والتربوية، والديانات المختلفة. فبلاد الشرق القديمة كانت التربة الخصبة الأصلية التي نبتت عليها بذور الفلسفة ثم انتقلت إلى بلاد اليونان حيث نمت وازدهرت في ربوع الأرض، ولهذا ينسب الفضل إليها(٤٢). ولا ننسى أن ابن خلدون له فضل في تأسيس علم الاجتماع، وأن كبار علماء الاجتماع يقولون أن ابن خلدون كان أبرز المساهمين والمؤسسين لهذا العلم الاجتماعي الإنساني. فقد دوّن التاريخ العالَميّ للعرب، والعجم، وتميز بمدى صحّة الأخبار التاريخيّة، حيث وصفه المُؤرّخ أرنولد توينبي بأن ابن خلدون أعظم عقل إنساني على مر العصور، فتاريخه حوى عِلم الاجتماع السياسي، والاقتصادي، والتعليمي، والمعرفي، وقد هذَّبها بالفلسفة الإسلامية المضبوطة بإطار أخلاقي مُعتدل، لتكون مقدِمة ابن خلدون مُجدِّدة للإدراك التاريخي بصورته المُجمَلة، ومَرجعاً لا يمكن تُجاوُزه حتى يومنا هذا(٤٣).

(٤١) أحمد رأفت عبد الجواد، مبادئ علم الاجتماع، مكتبة نهضة الشرق جامعة القاهرة، ص٦.
(٤٢) أحمد رأفت عبد الجواد، مبادئ علم الاجتماع، مكتبة نهضة الشرق جامعة القاهرة، ص٦.
(٤٣) https://mawdoo3.com

المطلب الثالث: أهمية علم المجتمع

اهتم العلماء بعلم الاجتماع الإنساني منذ زمن بعيد، وقد كان للأمة الإسلامية السبق في هذا المضمار، فعلم الاجتماع تكمن أهميته في التعرف على المؤثرات الخارجية على حياة الفرد والمجتمع الإنساني على سواء، والتأثيرات المجتمعية تحدد من خلالها مدى قابلية الفرد على التعامل مع من حوله من الناس بفعالية. ويهتم علم المجتمع الإنساني بأن يجعل الأفراد مواطنين أكثر وعياً، ونشاطاً، وقدرةً على التأثير في السياسات المجتمعيّة. وتوفير خلفيّة قويّة لخدمة المجتمع في مختلف المجالات، كالتجارة، والإدارة، والتسويق، والإعلان، والعلاقات الشخصية والإنسانية، والعمل لخدمة المجتمع في مجال الاستشارات والإدارة، والعمل في مراكز إعادة التأهيل من تعاطي المخدرات، والإدارة الصحيّة، وخدمات الأسرة(٤٤). فهو يدرس حال المجتمع ومشاكلة ويضع له حلول فعالة، نتيجة الخبرات المتراكمة في المجتمع. جعل ابن خلدون الرئد في هذا العلم، سبب ذلك هو قدرته على الاستكشاف والتحليل والاستنتاج لما يجري وما جرى للمجتمعات البشرية كان على المستوى الإيجابي أو السلبي. ولهذا نرى إنه إذا حذر من أمر أشار إلى وقائع وحوادث حقيقية مر بها المجتمع المتهالك. فالرحالة ابن خلدون طاف الأرض وتعرف على الكثير من السنن، واستقراء حياة البشر، وجعله مدون في كتابه التاريخ، فهو مادة مقررة لمن أراد أن يستفيد منه ويعرف عوامل بقاء الدول، وعامل ذهاب العمران وخرابه. وقد درس ابن خلدون تاريخ المجتمعات البشرية واستنتج أن تاريخ المجتمعات البشرية ظاهره لا يزيد عن الإخبار؛ ولكن في باطنه فيه حقائق وعبر وفوائد، ويستوقفنا التاريخ الاجتماعي الإنساني، على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم وحضاراتهم، وأن دراسته فن عزيز المذهب، جم الفوائد، شريف الغاية، نتعرف من خلاله على أخلاق الأمم، وسير الأنبياء، والملوك في دولهم وسياستهم، حتى تتم فائدة الاقتداء بهم. قال ابن خلدون في مقدمته: "تتمّ فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدّين والدّنيا فهو محتاج إلى مآخذ متعدّدة، ومعارف متنوّعة، وحسن نظر وتثبّت، يفضيان بصاحبهما إلى الحقّ وينكّبان به عن المزلّات والمغالط، لأنّ الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرّد النّقل، ولم تحكم أصول العادة وقواعد السّياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنسانيّ، وليقيس الغائب منها بالشّاهد والحاضر بالذّاهب؛ فربّما لم يؤمن فيها من العثور ومزلّة القدم والحيد عن جادّة الصّدق"(٤٥).

---

(٤٤) رانيا سنجق، أهمية علم الاجتماع، https://mawdoo3.com

(٤٥) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: ٨٠٨هـ)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، المحقق: خليل شحادة، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٨٨م، عدد الأجزاء:١، ص١٣.

المطلب الرابع: مبادئ علم الاجتماع

من لوازم تطوير علم الاجتماع، وضع مبادئ له، فعلم الاجتماع عندما استقل وأصبح علماً له قواعده وعلماؤه، تشعبت موضوعاته، واتسعت آفاقه، واستقر رأي العلماء تبعاً لذلك على أن تقوم داخل علم الاجتماع طائفة من العلوم الفرعية، تهتم كل منها بدراسة جانب واحد من جوانب الحياة الاجتماعية، وقد استقلت هذه العلوم بدورها عن علم الاجتماع، وإن ظلت باقية في دائرة الدراسات الاجتماعية. فأصبح هناك علم الاجتماع العام، مع عدد من العلوم الاجتماعية التي تعتبر من جهة أخرى فرعاً تابعاً له[٤٦]. فمبدأ علم الاجتماع يسعى إلى توضيح ما يميل إلى الحدوث في العمليات... واليوم، يُعرف علم الاجتماع بالعلم الذي يدرس العلاقات والثقافة وتنظيم الأفراد في بناء المؤسسات التي تشكل المجتمع.

ويرى بعض المختصين أن علم الاجتماع له نوعان من المبادئ.

المبدأ الأول: حقائق عامة عن المجتمع تسمح لنا باكتشاف حقائق اجتماعية أخرى أقل وضوحًا.

المبدأ الثاني: الحقائق الأساسية التي تشرح بشكل شامل كيف تقود الطبيعة التغيرات الاجتماعية، وهذه المبادئ حددها دوارد روس بأربعة مبادئ: الأول مبدأ التوقع، الثاني، مبدأ المحاكاة، الثالث مبدأ التخصيص، الرابع مبدأ التوازن، وهذه تعرف بمبادئ: ادوارد روس[٤٧].

ولا نريد الغوص في تفاصيل مبادئ علم الاجتماع، لأن الموضوع ليس مقصورا على الفلسفة الاجتماعية وإنما هو للقضايا الاجتماعية المنبثقة من واقع الإنسان والحوادث التي مر بها واتفقت مع بالنصوص الشريعة بعد استقراء فائض لابن خلدون. ولكن الذي نريد أن نشير إليه من خلال هذا المبحث، أن علم الاجتماع له أسس ثابته ومبادئ أصيلة، تسعى إلى جعل علم الاجتماع الإنساني علما منظما ومرتبا، يتطور حسب مقتضيات الواقع والحاجة الضرورية له.

المطلب الخامس: مناهج علم الاجتماع

المنهج في اللغة، قال الليث: طريق نهج وطرق نهجة، وقد نهج الأمر وأنهج، إذا وضح، ومنهج الطريق: وضَحه، والمنهاج: الطريق الواضح. وقال أبو عبيد: المنهج: الثوب الذي أسرع فيه البلى[٤٨]. والمنهج يعرف في الاصطلاح الشرعي: هو الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم، بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة"[٤٩]. ويقوم علم الاجتماع على عدة مناهج يعتمد عليها في معرفة الأحداث، والأحوال

(٤٦) أحمد رأفت عبد الجواد، مبادئ علم الاجتماع، مكتبة نهضة الشرق جامعة القاهرة، ص١٦.
(٤٧) ما هي مبادئ علم الاجتماع.
(٤٨) الزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي– بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م، عدد الأجزاء: ٨. ج٦، ص٤١.
(٤٩) نفسه المصدر، ج٦، ص٤١.

الإنسانية، والتاريخية والاجتماعية. فعلم الاجتماع لكي يحصل على استقلاله وانفصاله احتاج إلى بعض العلوم التي لحقت به كالفلسفة، وعلم النفس، والبيولوجيا، والسياسة، وغيرها، فاحتاج إلى ثلاثة شروط أساسية مثله مثل باقي العلوم الأخرى، وهذه الشروط هي:

١- المنهج يعني المادة التي تخضع للدراسة.

٢- ميدان الدراسة، الموضوع الذي يستحق البحث، حسب معطيات العلوم الاجتماعية.

٣- الوصول عن طريق التعميم إلى طائفة من القوانين والنظريات. وعلى ذلك تعتبر دراسة المناهج الخاصة بعلم الاجتماع أحد أركان العلوم الرئيسية. وأما أهم مناهج علم الاجتماع التي سار عليها واعتمد عليها علم الاجتماع الإنساني، فهي كثيرة، المنهج الوصفي، والمنهج التاريخي، والمنهج التجريبي، ومنهج التأمل الاستدلالي، والمنهج الجدلي، والمنهج الفلسفي(٥٠).

المطلب السادس: منهجية ابن خلدون العلمية والفكرية

كان للإمام ابن خلدون منهجية علمية تميز بها وعرف بها، تقوم هذه المنهجية على قاعدة أنَّ الواقع المادي هو موضوع العقل في ظواهره المختلفة؛ فعندما قام بتحليل وتفسير الفتوحات الإسلامية الكبرى خلال القرنين السابع والثامن استند إلى مفاهيمه العلمية التي تختلف عن مفاهيم القديس أوغسطين الذي اعتبر أنَّ الأسباب العميقة لمجمل مظاهر الحضارة القديمة تكمن في نظرات العناية الإلهية.

ومنهج ابن خلدون يقتضي أن يلتمس لكل شيء عِلَلَه وأسبابه؛ ويقوده هذا الأمر إلى أن يرد سلسلة الأسباب والمسببات إلى عِلَّته الأولى؛ وبذلك نبرهن على وجود الله، ويتضمن هذا كما يقول ابن خلدون: الاعتراف بعجز الإنسان عن معرفة كل شيء معرفة عملية تجريبية، وعلى أن شعور الإنسان بجهله في مواضع معينة هو نفسه ضَرْبٌ من العلم الاجتماعي(٥١). ومن ارتكزت دراسته الاجتماعية على هذه القاعدة الصلبة، يكون قد أعتمد على مناهج متعددة ومختلفة، تشمل المنهج الوصفي، والمنهج التاريخي، والمنهج التجريبي، ومنهج التأمل الاستدلالي، والمنهج الجدلي، والمنهج الفلسفي. وبهذا نجد أن ابن خلدون أول من أبرز علم الاجتماع بهذه الحلة الجديد التي يتباها بها اليوم رواد العلوم الاجتماعية.

المطلب السابع: نظرة ابن خلدون لعلم المجتمع الإنساني

عرف ابن خلدون بأرائه الاجتماعية وتميز ببعض النظريات والأفكار التي ولدت له شهرة واسعة في الشرق والغرب، لما وجد القارئ والمثقف الشرقي والغربي، من ملامسة هذه النظريات للحقائق والوقائع الاجتماعية التي مر بها الإنسان البشري. وقد تنوعت هذه النظريات وتعددت وشملت شرائح

(٥٠) أحمد رأفت عبد الجواد، مبادئ علم الاجتماع، مكتبة نهضة الشرق جامعة القاهرة، ص١٦.
(٥١) نفس المصدر، ص٣٦.

وأجناس، وتعلقت بخصائص وصفات للبيئة والأنظمة الحاكمة والشعوب المحكومة، والقوانين والدساتير التي تقوم عليها والدول والمماليك، والعوامل والأسباب التي عليها تبنى الحضارات، ويتسع العمران أو ينهدم.

أ- **العرب عند ابن خلدون:** قدَّمَ ابن خلدون آراء مختلفة متنوعة حول علم لاجتماع الإنساني، وخص الجنس العربي ببعض الآراء التي تميز بها عن غيره من الأجناس، ولعل نظرته للجنس العربي كانت أدق في الوصف، فهو يرى أن الجنس العربي أقرب إلى السلبية فأينما وجد وجد خراب العمران وفساده، ويقصد الجنس العربي البعيد عن الدين والتعاليم الإسلامية، فمن أقواله: العرب إذا تغلّبوا على الأوطان كان الخراب أسرع إليها، وإن العرب لا يتغلبون إلا على (البسائط) كما شخص الحالة العربية أنها لا تقوم بنفسها ولا يمكن أن تسود غيرها إلا بدافع داخلي يكون له قوة نافذة في إصلاح النفس العربية (وهو الدين) وكانت هذه النتيجة التي توصل إليها ابن خلدون بعد استقرائه للعقل العربي، والحالات التي مر بها والأوضاع التي ساد أقرب للمنطق والحقيقة. فقال: "العرب لا يحصل لهم الملك إلا بصبغة دينية أو ولاية، أو أثر عظيم من الدين بسبب خلق التوحش المتأصل فيهم، وهم أصعب الأمم انقياداً بعضهم لبعض للغلظة والأنفة، وبعد الهمة والمنافسة في الرئاسة فقلما تجتمع أهواؤهم. فالعربيّ لا تُصلحه إلّا رسالة، فإن نزعت الخلق من الانسان العربيّ، صار حيوانا أعجم"[٥٢] وهذا الذي لحظه ابن خلدون هو الواقع؛ والحالة التي نعيشها ونشاهدها أكبر دليل على ما قال، فحال العرب اليوم من غير الالتزام بالإسلام، حالة مزرية بمعنى الكلمة؛ ذل وهوان وانكسار وضعف وتشتت. وقد وصف الله بدو العرب الذين لا يفقهون الأحكام، ولا يعلمون ما أنزل الله من القرآن والتعاليم، فقد وصفهم الله بهذا الوصف الذي أشار إليه ابن خلدون فقال عز من قائل: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٩٧]. وقد أشار الله عز وجل إلى أن سبب ضعف الأمة المسلمة التفرق والاختلاف والبعد عن الله سبحانه وتعالى وترك تعاليم الإسلام، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال:٤٦].

ب- **التبعية والتقليد:** ويشير ابن خلدون إلى أن الضعيف يقلد القوي وهذا ملحوظ وبين، وينطبق على الأمة العربية اليوم، فنحن خلف المعسكر الغربي في كل شيء؛ ماعدا الأشياء النافعة نخالفهم فيها للأسف، يقول ابن خلدون: "المهزوم والمغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره، وزيه، ونحلته، وسائر أحواله، وعوائده، والسبب في ذلك أن النفس أبداً تعتقد الكمال في من غلبها وانقادت إليه"[٥٣]. وقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن هذه التبعية، ولعل سببها كان مسكوت عنه،

(٥٢) ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. ص٥٩٣.
(٥٣) ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. ص١٨٤.

في النص لكن بيّن ابن خلدون ذلك بعد أن استقرأ أحوال الناس وأسباب انهزامهم، فعن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لتتبعن سنن بني إسرائيل شبرا بشبر، وذراعا بذراع حتى لو دخل رجل من بني إسرائيل جحر ضب لتبعتموه[٥٤]».

ج- **تمترس الأنظمة بالدين:** وقد وجدنا أن الكثير من الحكام الظلمة، يبررون جرائمهم، ويسعون دوماً أن يجعلوا ما يفعلوه من ظلم وفساد مصبوغا بطابع الدين، حتى لا يستطع عوام الناس الاعتراض على هذه الجرائم؛ ومن ذلك يصنعون ويجندون علماء فسقة يزينون ما يفعله السلطان، ويقدمونه على أن ما يفعله هذا الظالم الغشوم هو الإسلام، وأن السلطان لا يحاسب ولا يُنقد حتى وصل بهم السفه أن يقولوا أنه لا يجوز الاعتراض على الحاكم حتى لو ظهر عاريا يمارس الفجور والانحطاط على شاشة التلفاز، وإن قتل الخلق وضربهم بالمنشار، وما يفعله إلا لإقامة دعائم الدين، فيصدقونهم عوام الناس، ويستسلم لهذه الأقوال شرائح النفاق وهم يعلمون أنهم يكذبون. والحقيقة أن الحاكم يلزمه الحدود والعقوبات كسائر المسلمين؛ بل وأشد ذلك لأنه هو القدوة والمناط إليه إقامة الحدود ودفع الفجور. وأما أهل العلم وأهل الصلاح والدين فيُبعدون من مراكز التأثير ويزج بهم في السجون إذا اعترض أحدهم على أبسط الأمور. يقول ابن خلدون في هذا المعنى: "إن الفتن التي تتخفي وراء قناع الدين تجارة رائجة جداً في عصور التراجع الفكري للمجتمعات، إذا فسد الإنسان في قدرته، ثم في أخلاقه ودينه، فسدت إنسانيته وصار مسخاً على الحقيقة"[٥٥].

د- **خوف الحكام من الشعوب:** يرى ابن خلدون أن الحكام الظلمة يخافون كثيرا على عروشهم من شعوبهم، وهذا ما يدفعهم إلى البطش بالشعوب، والارتماء في أحضان اليهود والنصارى، والاستعانة والاستقواء بهم، يقول ابن خلدون: الحاكم توجسه وغيرته من شعبه إلى خوف على ملكه، فيأخذهم بالقتل والإهانة، وحينما ينعم الحاكم في أي دولة بالترف والنعمة، تلك الأمور تستقطب إليه ثلة من المرتزقين والوصوليين الذين يحجبونه عن الشعب، ويحجبون الشعب عنه، فيوصلون له من الأخبار أكذبها، ويصدون عنه الأخبار الصادقة التي يعاني منها الشعب[٥٦].

هـ- **فساد القضاء والقانون:** يرى ابن خلدون أن فساد القضاء هو سبب هلاك الأمم وفساد للمجتمع، وضياع حقوق الأفراد. قال ابن خلدون: "فساد القضاء يُفضي إلى نهاية الدولة. وإذا تعاطى الحاكم التجارة فسد الحكم وفسدت التجارة"[٥٧]. فالحاكم يفسد القضاء ويغير الدستور لصالحه وينافس التجار ويحتكر السوق لصالحه، وهذا بداية غروب دولته والإنذار بزوالها، لأن رؤوس

(٥٤) الحاكم، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري (المتوفى: ٤٠٥ هـ)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٠، عدد الأجزاء:٤. ج٤، ص٥٠٢.

(٥٥) ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. ص٤٦٨.

(٥٦) نفس المصدر، ص٣٦٤

(٥٧) نفس المصدر، ص٣٨٣- ٤٦٨.

الأموال ستغادر البلد ولا يوجد منافس في السوق، فتركد التجارة وتبور البضائع، وهذا الحاصل في مصر اليوم عندما سيطر العسكر على جميع المؤسسات التجارية، واستولوا عليها زاد الفقر في صفوف الفقراء، وزاد الغناء في صفوف الأغنياء، وزاد الظلم وكثرة الجريمة وانتشرت الفاحشة، وقد كان يحذر النبي صلى الله عليه وسلم من فساد القضاء فقال صلى الله عليه وسلم: «إنما هلك الناس قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف فيهم تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد[٥٨]». ويرى ابن خلدون أن القضاء له منزلة سامقة في الدين وأنه عند الله بمكان، قال: "واعلم أنّ القضاء من الله تعالى بالمكان الّذي ليس فوقه شيء من الأمور لأنّه ميزان الله الّذي تعدّل عليه أحوال النّاس في الأرض، وبإقامة العدل في القضاء والعمل تصلح أحوال الرّعيّة، وتأمن السّبل، وينتصف المظلوم، وتأخذ النّاس حقوقهم، وتحسن المعيشة ويؤدّى حقّ الطّاعة، ويرزق الله العافية والسّلامة، ويقيم الدّين ويجري السّنن والشّرائع في مجاريها"[٥٩].

و- **المساواة في المواطنة:** إن من قوام الدولة التي تنعم بالخير والاستقرار، أن يتساوى جميع الأفراد في الحقوق والواجبات، وأن ينعم جميع الأفراد بالمساوات، ولا يمكن أن تقوم الدول وينتعش الإعمار إلا على العدل والمساواة يقول ابن خلدون "لا سبيل للعمارة إلّا بالعدل"[٦٠]. ونقل ابن خلدون هذه المقالة عن الموبذان وأنوشروان فقال: "العالم بستان سياجه الدّولة، الدّولة سلطان تحيا به السّنّة، السّنّة سياسة يسوسها الملك ... الرّعيّة عبيد يكنفهم العدل؛ العدل مألوف وبه قوام العالم"[٦١]. ونجد أن النبي صلى الله عليه وسلم، عندما أسس دولة الإسلام في المدينة قد ساوى بين جميع أفراد الشعب في الحقوق والواجبات العامة، ومنح اليهود الحرية الدينية، ولم يلزمهم باعتناق الإسلام، أو بدفع الجزية، ومنحهم حقوق غير منقوصة، وصيغ الدستور على أساس المساواة في المواطنة. ففي رواية أبي عبيد في كتاب الأموال: "أن يهود بني عوف أمة من المؤمنين، لليهود دينهم وللمؤمنين دينهم، ومواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم وأثم فَإِنَّهُ لاَ يُوتِغُ[٦٢] إلا نفسه وأهل بيته"[٦٣]. قال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام: إنما أراد نصرهم المؤمنين، ومعاونتهم إياهم على عدوهم، بالنفقة التي شرطها عليهم"[٦٤]. فالمراد هنا إثبات أن يهود المدينة أمة مع المؤمنين، وأمة من المؤمنين في المواطنة في

(٥٨) أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، السنن الكبرى، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركين الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، عدد الأجزاء:١٠، ج٧، ص١٦.

(٥٩) ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. ص٣٨٣.

(٦٠) نفس المصدر، ص٥١.

(٦١) نفس المصدر، ص٥١.

(٦٢)أى لا يهلك إلا نفسه، غريب الأثر - ابن الأثير]، الجزري، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، عدد الأجزاء :٥، ج٥، ص٣٢٠.

(٦٣) أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ)، كتاب الأموال، المحقق: خليل محمد هراس، الناشر: دار الفكر. بيروت عدد الأجزاء:١، ص٢٦٦.

(٦٤) نفس المصدر، ص٢٦٦.

الدولة، وفي الحقوق والواجبات السياسية العامة، لا في الدين حيث لكل أمة دينها، ولا إكراه في الدين، وقد قامت هذه الضريبة والالتزامات المالية والقتالية الطوعية من اليهود بناء على هذا التعاقد السياسي تجاه دولة المدينة في تقرير حقوق المواطنة لهم، ولهذا لم تفرض عليهم الجزية، وكان يسهم لهم في المغانم، كما قال أبو عبيد في كتاب الأموال (ونرى أنه إنما كان يسهم لليهود إذا غزوا مع المسلمين لهذا الشرط الذي شرط عليهم من النفقة[٦٥].

ز – **التفرد بالحكم أحد عوامل هدم الدول وزوالها:** يرى ابن خلدون أن الدول تهرم مهما عمَّرت، وتزول مهما قويت، وأن هناك عوامل تساهم في زوال الدول، أبرز هذه العوامل التفرد بالحكم والاستئثار بالملك والثروة عن سائر الشعب أو حتى عن أقربائه، فحين يستكثر من البذخ ويزيد في بلاط الملوك والسلاطين الترف؛ تتهاوى الدولة وتتدثر جدرانها، ويذوب أسسها. قال ابن خلون: "اعلم أن أوّل ما يقع من آثار الهرم في الدّولة انقسامها وذلك أنّ الملك عند ما يستفحل ويبلغ من أحوال التّرف والنّعيم إلى غايتها ويستبدّ صاحب الدّولة بالمجد وينفرد به ويأنف حينئذ عن المشاركة يصير إلى قطع أسبابها ما استطاع بإهلاك من استراب به من ذوي قرابته المرشّحين لمنصبه؛ فربّما ارتاب المساهمون له في ذلك بأنفسهم ونزعوا إلى القاصية إليهم من يلحق بهم مثل حالهم من الاعتزار والاسترابة ويكون نطاق الدّولة قد أخذ في التّضايق ورجع عن القاصية فيستبدّ ذلك النّازع من القرابة فيها ولا يزال أمره يعظم بتراجع نطاق الدّولة حتّى يقاسم الدّولة أو يكاد"[٦٦]. وإذا هرمت الدول لا يمكن أن تشب من جديد؛ بل تتآكل وتفنى كما تفنى المخلوقات، وهذه سنة الله في هذا الكون، وإني أرى أن الأنظمة العربية المستبدة قد سلكت سنناً، تسوقها يقيناً إلى الفناء وجمعت جميع أسباب الهلاك ولا ننتظر إلا سماع زوالها، فحكام العرب انفردوا بجميع شئون الأمة، وسنوا أنظمة تتسم بجميع سمات الانحطاط والاستبداد، ورفلوا في جميع أنواع البذخ والترف، بينما شعوبهم تموت من الذل والجوع. وبدأت تدب الفرقة بين بعض الأسر المالكة في زمننا وقد شاهدنا بعض الأمراء وهو يلتهم الملك بطريقة جشعة لم تكن في أسلافه، فاستحكم على السلطة، وركب على الأقرباء وأبناء العمومة والأعمام من غير سابقة من قبله؛ بل نكّل بالجميع وداس على الكبير والصغير، وهذه هي بداية الزوال أو هو الزوال نفسه. فابن خلدون يرى أن أطوار الدولة خمسة لا تزيد في الغالب على هذه الأطوار، وأما عمرها ثلاثة أجيال فقط، وقرر أن عمر الجيل الواحد أربعين سنة، فمجوع أعمار الثلاثة الأجيال، ما يساوي مئة وعشرين سنة قد تزيد قليلاً أو ينقص منه القليل، فالجيل الأول يقوم بعملية البناء والعناية كما يراه ابن خلدون، والجيل الثاني يسير على خطا الجيل الأول من التقليد

(٦٥) علي بن نايف الشحود، الأحكام الشرعية للثورات العربية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢هـ،٢٠١١م، عدد الأجزاء:١، ص٣٧٣.

(٦٦) ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. ص٣٦٠.

وعدم الحيد، أما الجيل الأخير فيمكن تسميته بالجيل الهادم"[٦٧]. فالدولة لها أعمار طبيعية كما للأشخاص" على حد تعبيره. فبعد البناء والعرق في زمن الجيل الأول، تتحول الدولة إلى الاستقرار والهدوء على يد الجيل الثاني، وتبدأ المنشآت الحضارية والعمرانية بالبزوغ، لكن في هذه المرحلة تنزلق الدولة إلى الاستبداد وحكم الفرد[٦٨]. فابن خلدون يرى سبب سقوط الخلافة الأموية كان سببه انقسام الأسرة المالكة، وهو الذي حصل في الخلافة العباسية، والدولة السلجوقية ودولة الموحدين والمرابطين وغيرهم من الدول. قال ابن خلدون في المقدمة: "أوّل ما يجدع أنوف عشيرته وذوي قرباه المقاسمين له في اسم الملك فيستبدّ في جدع أنوفهم بما بلغ من سوادهم لمكانهم من الملك والعزّ والغلب فيحيط بهم هادمان وهما التّرف والقهر ثمّ يصير القهر آخرا إلى القتل لما يحصل من مرض قلوبهم عند رسوخ الملك لصاحب الأمر فيقلب غيرته منهم إلى الخوف على ملكه فيأخذهم بالقتل والإهانة وسلب النّعمة والتّرف الّذي تعوّدوا الكثير منه فيهلكون ويقلّون وتفسد عصبيّة صاحب الدّولة منهم وهي العصبيّة الكبرى الّتي كانت تجمع بها العصائب وتستتبعها فتنحلّ عروتها وتضعف شكيمتها وتستبدل عنها بالبطانة من موالي النّعمة وصنائع الإحسان وتتّخذ منهم عصبيّة إلّا أنّها ليست مثل تلك الشّدّة الشّكيميّة لفقدان الرّحم والقرابة"[٦٩]. وهذا أكد عليه المؤرخ الإنكليزي عالم الاجتماع أرنولد توينبي حيث قال: أن الحضارات تتقهقر بضعفٍ يطرأ على قوة الإبداع، ويؤمن بأن زوال حضارة ما أمرٌ لا مفرّ منه[٧٠]. قلت: وهذا الذي نؤمن به ونعتقده ونشاهده، وتدل عليه النصوص الشرعية ويتفق مع مقاصدها، قال تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [الأنبياء:١١]. قال مقاتل: "يعني أهلكنا من قرية بالعذاب في الدنيا قبل أهل مكة كانَتْ ظالِمَةً وَأَنْشَأْنا بَعْدَها يقول وجعلنا بعد هلاك الأمم الخالية قَوْماً آخَرِينَ يعني قوما كانوا باليمن في قرية تسمى حضور قتلوا نبيا من الأنبياء- عليهم السلام- فسلط الله- عز وجل- جند عليهم"[٧١]. وفي الأثر الشريف من حديث حذيفة، إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «"تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكًا عاضًا فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكًا جبرية فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم

(٦٧) نفس المصدر، ص٢١٣.
(٦٨) ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. ص٣٦٠.
(٦٩) ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. ص٣٦٤.
(٧٠) مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي (المتوفى:١٣٩٣هـ)، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، إشراف وتقديم: المحامي عمر، مسقاوي، الناشر: دار الفكر المعاصر- بيروت لبنان / دار الفكر-دمشق سورية، الطبعة: ٢٠٠٢م، ط١، عدد الأجزاء:١، ص٤٦.
(٧١) بو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (المتوفى: ١٥٠هـ)، تفسير مقاتل بن سليمان، المحقق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٣هـ، ج٣، ص٧٢.

يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة"[٧٢]». (فهذا النص صريحا على تقلب الأمم وزوال الدول. وعندما نزلت هذه الآية، من سورة المائدة، ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]، فرح الصحابة، وبكى عمر فقيل له: ما يبكيك؟ قال: "إنه ليس بعد الكمال إلا النقصان"[٧٣]. قال ابن العربي: "وما من شيء في الدنيا يكمل إلا وجاء النقصان ليكون الكمال الذي يراد به وجه الله. وهذا أُثبت وأُكّد عبر صروف الدهر وأحداث الزمان، فكل من ادّعى الكبر صغُر، وكل من ادّعى الكمال نقُص، وما من شيء إلا وله زوال، فهذه الأندلس بعد أن كانت إقليماً وحضارة إسلامية لا مثيل لها بادت وسقطت، كما ذكر أبو البقاء الرّندي في نونيته التي نظمها بعد سقوط آخر أراضي المسلمين في الأندلس.

لكل شيء إذا ما تم نقصان ... فلا يغر بطيب العيش إنسان
هي الأمور كما شاهدتها دول ... من سره زمن ساءته أزمان
وهذه الدار لا تبقي على أحد ... ولا يدوم على حال لها شان
يمزق الدهر حتما كل سابغة ... إذا نبت مشرفيات وخرصان[٧٤].

المطلب الثامن: الظلم مؤذن بخراب العمران

ومن القواعد الخلدونية التي اشتهرت في علم الاجتماع واتفقت مع قواعد الشرع وتعاليم الإسلام، أن الظلم مؤذن بخراب العمران، ولا اعتقد أحدا من أهل الملل يخالفه في هذه النظرية ولعل ابن خلدون درس تاريخ المتقدمين وما حل بهم من دمار وزوال ملكهم بسبب ظلمهم وفجورهم، وكان هذا الاستقراء في محله، ويتوافق مع النصوص الشرعية ويتناغم مع مقاصدها، فابن خلدون جعل نتائج ظلم المتقدمين ينطبق على ظلم المتأخرين، وهذا الأمر من المسلمات، فإذا كانت المعطيات والمناهج والسلوك متساوية، كانت النتائج واحدة حتماً. وقد وافق بعض الحكماء ابن خلدون فقال القلعي الشافعي: "لا يكون العمران حيث يجور السلطان" [٧٥]. وفي التوراة "من يظلم يخرب بيته" وفي الزبور إذا ظلمت من دونك فلا تأمن من فوقك" وفي الأثر "دار الظالم خراب ولو بعد حين"[٧٦].

(٧٢) ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى:٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط-عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١ م، ج٣٠، ص٣٥٥.

(٧٣) محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، محاسن التأويل، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨هـ، ج١، ص٤١.

(٧٤) المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (المتوفى: ١٠٤١هـ)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر- بيروت - لبنان ص. ب ١٠، ج٤، ص٤٨٧.

(٧٥) القَلْعي، أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن القَلْعي الشافعي (المتوفى: ٦٣٠هـ)، تهذيب الرياسة وترتيب السياسة، المحقق: إبراهيم يوسف مصطفى عجو الناشر: مكتبة المنار - الأردن الزرقاء، الطبعة: الأولى، عدد الأجزاء: ١، ص ١٩٤.

(٧٦) نفس المصدر، ص ١٩٤.

ويقال من طالت عداوته زال سلطانه، ومن طال اعتداؤه قرب فناؤه، ومن تغذى بسوء السيرة تعشى بزوال القدرة(٧٧). وقد نص سبحانه وتعالى على هلاك الأمم السالفة وبين أن السبب هو الظلم فقال عز من قائل: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾ [النمل:٥٢] أي لا يوجد فيها أحد نتيجة العقوبة التي نزلت بهم بسبب الظلم. وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود:١٠٢] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾ [الاسراء:١٦]. وقال تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ [النساء:١٥٣]. (أي بسبب ظلمهم. وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف:٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [الأنبياء:١١]. وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل:١١٢]، فالظلم أدعى شيء إلى سلب النعم وحلول النقم. وقال كعب الأحبار لأبي هريرة رضي الله عنه: في التوراة من يظلم يخرب بيته(٧٨).وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ما ظهر الغلول في قوم قط إلا فشا في قلوبهم الرعب، ولا فشا الزنا في قوم قط إلا فشا فيهم الموت، ولا أنقص قوم المكيال والميزان إلا قطع عنهم الرزق، ولا حكم قوم بغير حق إلا فشا فيهم الدم، ولا خفر قوم العهد إلا سلط عليهم العدو وروي أن بعض الملوك رقم على بساطه هذه الأبيات:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً فالظلم مصدره يفضي إلى الندم

تنام عيناك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم(٧٩).

وهلاك الأمم بسبب الظلم والطغيان كثيرة بكثرة الحوادث وبكثرة الظلمة، لا نستطيع حصرها أو عدها، وقد فنيت عروش ملوك في الماضي والحاضر، فأين عاد وثمود وفرعون والفرس والروم والتتار والمغول، وأين حسني مبارك والقذافي وزيد العابدين وعفاش اليمن. لقد ذهبوا بظلمهم، وسار ملكهم بفجورهم؛ ما كان لهم أن يسقطوا لولا الظلم. وسيلحق بهم من تأخر من حكام العرب الظلمة لا محالة، وما هو إلا وقت يحدده الله سبحانه وتعالى. فحقاً الظلم مؤذن بهلاك الأمم. قال ابن خلدون: "أنّ الظّلم مخرّب للعمران وأنّ عائدة الخراب في العمران على الدّولة بالفساد والانتقاض"(٨٠). قال: ولا تنظر في ذلك إلى أنّ الاعتداء قد يوجد بالأمصار العظيمة من الدّول الّتي بها ولم يقع فيها خراب، واعلم أنّ ذلك إنّما جاء من قبل المناسبة بين الاعتداء وأحوال أهل المصر، فلمّا كان المصر كبيرا وعمرانه كثيرا وأحواله متّسعة بما لا ينحصر؛ كان وقوع النّقص فيه بالاعتداء والظّلم يسيرا، لأنّ

(٧٧) نفس المصدر، ص١٩٥.

(٧٨) الطرطوشي، أبو بكر محمد بن محمد ابن الوليد الفهري الطرطوشي المالكي (المتوفى: ٥٢٠هـ)، سراج الملوك، الناشر: من أوائل المطبوعات العربية – في مصر، تاريخ النشر: ١٢٨٩هـ، ١٨٧٢م، عدد الأجزاء:١، ص١٥٠.

(٧٩) نفس المصرص١٥١.

(٨٠) ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. ص356.

النّقص إنّما يقع بالتّدريج فإذا خفي بكثرة الأحوال واتّساع الأعمال في المصر؛ لم يظهر أثره إلّا بعد حين، وقد تذهب تلك الدّولة المعتدية من أصلها قبل خراب، وتجيء الدّولة الأخرى فترفعه بجدّتها وتجبر النّقص الّذي كان خفيّا فيه فلا يكاد يشعر به؛ إلّا أنّ ذلك في الأقلّ النّادر، والمراد من هذا أنّ حصول النّقص في العمران عن الظّلم والعدوان أمر واقع لا بدّ منه لما قدّمناه ووباله عائد على الدّول[٨١]. فالمفاضلة بين الشعب خراب الأنظمة وسقوط العروش: هكذا يرى ابن خلدون في مقدمته أن خراب الدول وسقوط الأنظمة، يبدأ من بداية المحاباة والمداراة بين القبائل والفرق والطوائف، ويرى أن هذا هو العامل الأساسي في سقوط الأنظمة والممالك، واستسمح من القارئ أن سرد بعض الحقائق والأدلة التي عشتها في بلدي اليمن الحبيب، خلال حكم نظام علي عبد الله صالح، الذي أختزل مؤسسات الدولة في قبائل محددة، وعشائر معينة. لكن قبل أن أبدأ الحكاية المؤلمة للشعب اليمني مع النظام البائد، الذي اعتمد على المحاباة العشائرية والقبلية والحاشدية والبكيلية. نقف قليلاً مع علماء الاجتماع ونكشف عن موقفهم المعادي لهذا السلوك الخطير، لما فيه من أضرار في التمايز الحقوقي بين الناس، والتفاضل الوظيفي بين الأفراد.

المبحث الثالث

مآلات الظلم وآثاره على الضروريات الخمس

المطلب الأول: تعريف الظّلم ومراتبه وأنواعه

الظلم في اللغة: الظلم اسم من ظلمه ظلما، من باب ضرب، ومظلمة بفتح الميم وكسر اللام، وتجعل المظلمة اسما لما تطلبه عند الظالم، كَالظُّلَامَةِ بالضم[٨٢]. وأصل المادة يدل على أصلين، يقول ابن فارس: "أحدهما خلاف الضياء والنور، والآخر: وضع الشيء غير موضعه تعديا، فالأول: الظلمة، والجمع ظلمات. والظلام: اسم الظلمة، وقد أظلم المكان إظلاما. والأصل الآخر، ظلمه يظلمه ظلما. والأصل فيه، وضع الشيء في غير موضعه، ويقال: ظلمت فلانا، نسبته إلى الظلم[٨٣].

الظلم في الاصطلاح: قال الجرجاني: "التصرف في حق الغير بغير حق، أو مجاوزة الحق. وقيل: الظلم: في الشريعة عبارة عن التعدي عن الحق إلى الباطل وهو الجور، وقيل: هو التصرف في ملك الغير ومجاوزة الحد"[٨٤]. وقال ابن قتيبة: "والظلم عند أهل اللغة وكثير من العلماء وضع الشيء

(٨١) نفس المصدر، ص٣٥٦.

(٨٢) الحموي، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الناشر: المكتبة العلمية بيروت، عدد الأجزاء: ٢، ج٢، ص٣٨٦.

(٨٣) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.عدد الأجزاء: ٦، ج٣، ص٤٦٨.

(٨٤) الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، كتاب التعريفات، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ - ٩٨٣م، عدد الأجزاء: ١، ص١٤٤.

في غير موضعه المختص به. إما بنقصان أو بزيادة، وإما بعدول عن وقته، أو مكانه"[٨٥]. وقال المناوي: والظلم يقال في مجاوزة الحق الذي يجري مجرى نقطة الدائرة، ويقال فيما يكثر وفيما يقل من التجاوز. ولهذا يستعمل في الذنب الكبير، وفي الذنب الصغير[٨٦]. وقال الجاحظ: الجور (الظلم) هو الخروج عن الاعتدال في جميع الامور، والسرف والتقصير وأخذ الأموال من غير وجهها، والمطالبة بما لا يجب من الحقوق وفعل الأشياء في غير مواضعها ولا أوقاتها، ولا على القدر الذي يجب ولا على الوجه الذي يحب[٨٧]. وفي التنزيل العزيز: الظلم هو الشرك، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام:٨٢] أي بشرك. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣].

المطلب الثاني: أنواع الظلم ومراتبه

والظلم له مراتب كثير وأنواع عديدة لكنها تدخل هذه المراتب تحت ثلاثة مراتب.

المرتبة الأولى: ظلم لا يغفره الله سبحانه وتعالى، وهو ظلم العبد لربه، وذلك يكون بالكفر به تعالى: قال سبحانه: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة:٢٥٤]. ويكون بالشرك في عبادته تعالى بأن يصرف بعض عباداته إلى غيره، قال سبحانه: (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) [لقمان:١٣]. وهذا الظلم لا يغفره الله سبحانه وتعالى: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء:٤٨][٨٨].

المرتبة الثانية: ظلم العبد لغيره من عباد الله ومخلوقاته، وذلك بأذيتهم في أعراضهم أو أبدانهم أو أموالهم بغير حق، وهذا ظلم لا يدعه الله، حتى يقتص بعضهم من بعض"[٨٩]. فعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى تقاد الشاة الجلحاء من الشاة القرناء[٩٠]» وعن أبي عثمان النهدي، عن عثمان، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الجماء لتقص من القرناء يوم القيامة[٩١]»

---

(٨٥) بن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، غريب الحديث، المحقق: د. عبد الله الجبوري، الناشر: مطبعة العاني – بغداد الطبعة: الأولى، ١٣٩٧، عدد الأجزاء: ٣، ج١، ص٢٤٨.

(٨٦) المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، التوقيف على مهمات التعاريف، الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، عدد الأجزاء: ١، ص٢٣١.

(٨٧) عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم، الناشر: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة: الرابعة عدد الأجزاء: ج١٢، ص٤٨٧٢.

(٨٨) القيرواني، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (المتوفى: ٢٠٠هـ)، تفسير يحيى بن سلام، تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، عدد الأجزاء:٢، ج٢، ص٦٧٤.

(٨٩) نفس المصدر، ج٢، ص٦٧٤.

(٩٠) مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، الصحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، عدد الأجزاء: ٥، ج٤، ص١٩٩٧.

(٩١) بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م، ج١، ص٥٤٢.

المرتبة الثالثة: ظلم العبد نفسه، وذلك بتدسيتها وتلويثها بآثار أنواع الذنوب والجرائم والسيئات من معاصي الله ورسوله، قال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة:٥٧]. فمرتكب الكبيرة من الإثم والفواحش هو ظالم لنفسه إذ عرضها لما يؤثر فيها من الخبث والظلمة فتصبح به أهلا للعنة الله، والبعد منه. واعتقد أن أشد الظلم وأخطره بعد الشرك بالله هو ظلم السلطان لرعيته، وقد قرر ابن خلدون ذلك في علم الاجتماع، لأنه يرى أن ظلم الأفراد بعضهم لبعض يدفع بسوط السلطان وقوة القانون، أما ظلم السلطان فلا دفع له إلا بدمار الأوطان[٩٢]. وهذا ما حدث في البلدان العربية عندما صحت الشعوب وأرادت إزالة هذه الأنظمة الظالمة الغشومة؛ حدث ما لم يكن في الحسبان من قتل ودمار وخراب وتنكيل، وقد رأينا بأعيننا الجرائم والإبادات في كل من سوريا واليمن ومصر وليبيا وتونس، جرائما فضيعة لم نر لها مثيل فابن خلدون يرى أن ظلم الأفراد بعضهم لبعض يمكن رده بالشرع والقانون؛ أما ظلم السلطان فهو غير مقدور على رده إلا بخراب الأوطان والإعمار، وهلاك الأنفس وهتك الأعراض، عافانا الله من شر الظلمة ووقانا كيدهم وإجرامهم.

المطلب الثالث: حكم الخانعين للظلم والساكتين عنه

ومن أعظم المحرمات عند الله أن يرضا المظلوم بالظلم أو يسكت عنه، لأن ذلك الرضا والسكوت هو عبارة عن توطين الظلم وتأسيس قواعده ومد جذوره في الأرض وانتشاره بين الخلق، ولهذا شرع الله إنكار المنكر، وجعل الإنكار على الظالم باب من أبواب الشهادة في سبيل الله تعالى، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سيد الشهداء يوم القيامة حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر، فنهاه وأمره، فقتله[٩٣]» فإزالة الظلم مطلب شرعي وهو المقصد من مبعث جميع الرسل والأنبياء. وقد توعد الله بأشد العبارات الذين رضوا بالظلم، فقال عز من قائل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظالِمِي أَنْفُسِهِمْ قالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ واسِعَةً فَتُهاجِرُوا فِيها فَأُولئِكَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَساءَتْ مَصِيراً﴾. إن هذه الآية يقشعر منها البدن ويرتجف منها الفؤاد، لأن هذه الآية الكريمة بينت عقوبة من رضي أن يعيش تحت ركام الاستبداد، وفي ظل ركام الاستعباد، وسكت عن الظلم والظلمة فيكيف من كان معيناً للظلمة عوناً على ظلمهم، فالله سبحانه وتعالى، لم ينكر عليهم بأنهم مستضعفين في الأرض؛ بل كان الوعيد بسبب رضاهم وبقاءهم عند الظالمين، وحيث كان بمقدورهم مغادرة ومفارقة الظلمة، والابتعاد عن الاستبداد، فكان جزاءهم جهنم في الآخرة وبئس المصير مع أنهم، لم يكونوا أعوان للظلمة ولم يزينوا

(٩٢) ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. ص٣٦٤.
(٩٣) الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المعجم الأوسط، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين – القاهرة، عدد الأجزاء: ١٠، ص٤، ص٢٣٨.

الظلم للسلطان، وعلى المسلم أن يفر من الأرض التي يحكمها السلطان الظالم، لأن ذلك يجعل الإنسان يألف الظلم فيمارسه في المستقبل حيث يصبح عادة مألوفة لدي المجتمع. قال تعالى: ﴿وَقَدْ نزلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء:١٤٠] قال الإمام القرطبي رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: دلت هذه الآية على وجوب اجتناب أصحاب المعاصي إذا ظهر منهم منكر، لأن من لم يتجنبهم فقد رضي بفعلهم، والرضا بالكفر كفر وبالمنكر منكر؛ لذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ إِذاً مِّثْلُهُمْ﴾؛ فكل من جلس في مجلس معصية ولم ينكر عليهم يكون معهم في الوزر سواء[٩٤]. وقال تعالى في آية أخرى وهو يحذر من الركون إلى الظالمين: ﴿وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ﴾ [هود:١١٣]، فالركون إلى الظلمة يشجعهم على التمادي في الظلم، والاستشراء فيه. وأدنى مراتب الركون إلى الظالم ألا تمنعه من ظلم غيره، وأعلى مراتب الركون إلى الظالم أن تزين له هذا الظلم ظلمه. عن هشام بن عروة، أن عمر بن عبد العزيز، "أخذ قوما على شراب، ومعهم رجل صائم، فضربه معهم، فقيل له: إن هذا صائم، فقال: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾ [النساء:١٤٠]"[٩٥].

المطلب الرابع: آثار الظلم في هدم الضروريات الخمس

قدم ابن خلدون في مقدمته حقيقة الظلم وصوره المتعددة في إفساد ضروريات الحياة، ومآلاته الهدامة للضرورات الخمس، والحضارات الإنسانية. والذي نص عليه ابن خلدون تؤيده النصوص الشرعية وتتفق معه ويشهد له الواقع وسجله التاريخ، ولم يكن ابن خلدون يصيح بهذه الأفكار أو يصرخ بها إلا بعد مسيرة حافلة بالاستقراء لتاريخ الأمم وحال الشعوب، فاستقر، "أنّ الظّلم مؤذن بخراب العمران مفضي لفساد النّوع"[٩٦]. ففناء الأوطان وهلاك العمران وخراب المجتمعات، وتشريد البشر، معلق بالظلم، وأن المقاصد الشرعية جاءت لحفظ الضروريات الخمس التي يعد الظلم أحد العوامل الهدامة لها، وهي خمس ضروريات متفق عليها ومجمع على أهميتها: (حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ النسل، وحفظ المال). وسنقف قليلاً على هذه الضرورات الخمس التي يعد الظلم أكثر تهديداً لها وأكبر خطرا على وجودها؛ فالحفاظ على الضروريات الخمس أبرز مقاصد

(٩٤) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٩٦٤ م، عدد الأجزاء: ٢٠ جزء. ج٥، ص٤١٨.

(٩٥) العكبري، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري، (المتوفى: ٣٨٧هـ)، الإبانة الكبرى لابن بطة، المحقق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، عدد الأجزاء: ٩، ج٢، ص٤٨١.

(٩٦) ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. ص١٣.

الشارع، وقد شرعت الأحكام الشرعية من أولها إلى آخرها وبجميع أنواعها للحفاظ على الضروريات الخمس. قال ابن خلدون: واعلم أنّ هذه هي الحكمة المقصودة للشّارع في تحريم الظّلم وهو ما ينشأ عنه من فساد العمران وخرابه وذلك مؤذن بانقطاع النّوع البشريّ، وهي الحكمة العامّة المراعية للشّرع في جميع مقاصده الضّروريّة الخمسة من حفظ الدّين والنّفس والعقل والنّسل والمال[٩٧]. وقال: ولا سبيل للعمارة إلّا بالعدل والعدل الميزان المنصوب بين الخليقة نصبه الرّبّ وجعل له قيّما وهو الملك[٩٨]. وقال الغزالي رحمه الله: "إن مقصود الشرع من الخلق خمسة، أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة ودفعها مصلحة"[٩٩]. وقال أبو عبد الله الغرناطي: الأصل الثالث في كليات ما تحفظ به الشريعة تشيدا لركن الملك به وهي الضروريات الخمس المتفق على رعايتها في جميع الشرائع، الدين والنفس والعقل والنسل والمال، لأن مصالح الدين والدنيا مبنية على المحافظة عليها بحيث لو انخرمت لم يبق للدنيا وجود من حيث الإنسان المكلف؛ ولا للآخرة من حيث ما وعد بها، فلو عدم الدين عدم ترتب الجزاء المرتجى، ولو عدم الإنسان لعدم من يتدين، ولو عدم العقل لارتفع التدبير، ولو عدم النسل لم يمكن البقاء عادة، ولو عدم المال لم يبق عيش[١٠٠]. ويرى الإمام الشاطبي أن الحفاظ على الضروريات الخمس هو الحفاظ على العمران، قال: إما حفظ شيء من الضروريات الخمس "الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال"، التي هي أسس العمران المرعية في كل ملة، والتي لولاها لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، ولفاتت النجاة في الآخرة[١٠١].

الفقرة الأولى: آثار الظلم على الدين، فلا توجد آفة في هذه الحياة أشد خطراً وأعظم ضرراً على جميع الديانات السماوية من الظلم، فضرره بين وخطره واضح ومجرب، وقد اتفق علماء الشريعة الاسلامية وعلماء العلوم الاجتماعية على أن الظلم له علاقة مباشرة في تهديد وزوال الضروريات الخمس، التي أولها الدين. قال ابن خلدون: واعلم أنّ هذه هي الحكمة المقصودة للشّارع في تحريم الظّلم وهو ما ينشأ عنه من فساد العمران وخرابه، وذلك مؤذن بانقطاع النّوع البشريّ وهي الحكمة

(٩٧) ابن خلدون أبو زيد، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج١، ص٥١.

(٩٨) ابن خلدون أبو زيد، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج١، ص٥١.

(٩٩) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، المستصفى، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية
الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، عدد الأجزاء:١، ص١٧٤.

(١٠٠) الغرناطي: محمد بن علي بن محمد الأصبحي الأندلسي، أبو عبد الله، شمس الدين الغرناطي ابن الأزرق (المتوفى: ٨٩٦هـ)، بدائع السلك في طبائع الملك، المحقق: د. علي سامي النشار، الناشر: وزارة الإعلام – العراق، الطبعة: الأولى، عدد الأجزاء:١، ص١٩٥.

(١٠١) إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، الموافقات، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان
الناشر: دار ابن عفان، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م عدد الأجزاء: ٧، ج١، ص٥.

العامّة المراعية للشّرع في جميع مقاصده الضّروريّة الخمسة من حفظ الدّين والنّفس والعقل والنّسل والمال(١٠٢). وقد بين سبحانه تعالى أن عدم الحكم بما أنزل الله سبحانه وتعالى من عدل ومساواة بين الخلق، فهو إما أن يكون من الكفر بالله أو من الظلم أو من الفسق وكل هذه الخصال عواقبها عند الله وخيمة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤] وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، [المائدة:٤٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة:٤٧].

الفقرة الثانية: آثار الظلم على النفس، حفظ النفس من جملة الضروريات التي أمر الشارع جل وعلا بحفظها وعدم تعرضها للهلاك، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء:٣٠]. قال ابن رشد: وإنفاذا لتوجيهات حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال. يذكر الفقهاء في تعليل الأحكام الشّرعيّة بالمقاصد...أنّ القتل مفسد للنّوع وأنّ الظّلم مؤذن بخراب العمران المفضي لفساد النّوع وغير ذلك من سائر المقاصد الشّرعيّة(١٠٣).

الفقرة الثالثة: آثار الظلم على العقل، العقل نعمة من نعم الله الجليلة فهو الذي يميز به المرء بين الهدى والضلال. والخير والشر. والطيب والخبيث. والعقل هو مناط التكليف وبه فضل الله الإنسان على بقية أنواع الحيوان لذا حرصت الشريعة الإسلامية على تحريم كل ما يضر بالعقل ويفسد التفكير أو التحكم به؛ فالعقل أهم خصائص الإنسان التي بموجبها فضّل الله الجنس الإنساني على سائر المخلوقات قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء:٧٠]. ويرى ابن خلدون أن الظلم يفسد العقل ويمنعه من التفكير والإبداع، فالظلم يتحكم في إرادة الناس ويمنعهم من حرية الاختيار أو حرية التصرف فيما يرونه صواباً. قال ابن خلدون: واعلم أنّ هذه هي الحكمة المقصودة للشّارع في تحريم الظّلم وهو ما ينشأ عنه من فساد العمران وخرابه وذلك مؤذن بانقطاع النّوع البشريّ وهي الحكمة العامّة المراعية للشّرع في جميع مقاصده الضّروريّة الخمسة من حفظ الدّين والنّفس والعقل والنّسل والمال(١٠٤). وقد سجل القرآن الكريم العقلية المستبدة الفرعونية، التي تعيق التفكير وتمنع العقل من النظر في أمور الحياة، وأنه يلزم الشعوب أن تفكر بعقل حاكمها، ولا يحق لها أن ترى إلا ما يرى السلطان فقد خطب فرعون في قومه فقال عدو الله مقالة سجلها القرآن الكريم وجعلها لعنة على كل من أراد أن يسلك هذا المسلك الحقير، أو رضي بهذا القول، قال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا

(١٠٢) ابن خلدون أبو زيد، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ص٣٥٦.
(١٠٣) نفس المصدر: ص٥١.
(١٠٤) ابن خلدون أبو زيد، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج١، ص٥١.

مَا أُرِيَ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر:٢٩]. ولا أعتقد أن فرعون يجرؤ أن يقول هذا القول إلا إذا كان المخاطب تافهاً حقيراً، ارتضى لنفسه هذه الدناءة والوضعية السخيفة، ولهذا قال الله تعالى: {فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ} [الزخرف: ٥٤]. ففرعون كان يظلم ولا أحد يقول له شيئاً، فجعل الله اللوم والمؤاخذة على فرعون وقومه، بقوله سبحانه: {إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ} ولم يعذرهم، لأنهم لم يقولوا لفرعون هذا ظلمٌ لا نقبله"[١٠٥]. ومن هنا نعرف أن الظلم خطر حقيقي على أهم مقاصد الشرع، وأن ما ذهب إليه ابن خلدون في علم الاجتماع إن هو إلا نتيجة معرفة تحكم الظالم بتفكير الشعوب وإفساده عقول المكلفين.

الفقرة الرابعة: آثار الظلم على النسل، ومن أضرار الظلم ومفاسده اختلاط الأنساب وهو أحد الضروريات في الحياة التي جاء الشرع لحفظها، فالانهماك في الرذيلة والشهوات وكثرة الزنا بالمومسات لا يكون إلا بفساد المجتمع وذهاب العدل، وانتشار الظلم بين الناس، لأن من لوازم الظلم كثرة الفاحشة، قال ابن خلدون: ويتبع ذلك التّفنّن في شهوات الفرج بأنواع المناكح من الزّنا واللّواط، فيفضي ذلك إلى فساد النّوع؛ إمّا بواسطة اختلاط الأنساب كما في الزّنا، فيجهل كلّ واحد ابنه، إذ هو لغير رشدة، لأنّ المياه مختلطة في الأرحام، فتفقد الشّفقة الطّبيعيّة على البنين والقيام عليهم فيهلكون، ويؤدّي ذلك إلى انقطاع النّوع، أو يكون فساد النّوع بغير واسطة، كما في اللّواط المؤدّي إلى عدم النسل رأسا وهو أشدّ في فساد النّوع. والزّنا يؤدّي إلى عدم ما يوجد منه. ولذلك كان مذهب مالك[١٠٦] رحمه الله في اللّواط أظهر من مذهب غيره، ودلّ على أنّه أبصر بمقاصد الشّريعة واعتبارها للمصالح[١٠٧].

الفقرة الخامسة: آثار الظلم على الأموال، لقد أيقن العالم أجمع واستقر في عقيدته بأن الظلم وأخذ أموال الناس بالباطل، هو أول منذر لخراب العمران لأن السطو على أموال الناس يعيق كافة محاولات التنمية والتقدم، مما يجعل آثار الفساد ومخاطره أشد فتكاً وتأثيراً على العمران؛ بل يمتد إلى شتى نواحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والتعليمية. ولهذا نجد أن ابن خلدون جعل آفة أكل أموال الناس بالباطل منذر بخراب العمران، يقول في مقدمته: وأعظم من ذلك في الظّلم وإفساد

(١٠٥) أبو شجاع الأزهري، المظاهرات السِّلميَّة من أوجب الواجبات الشرعية - لماذا؟ ... وكيف؟ (دراسة فقهية تأصيلية مبنية على الأدلة الصحيحة من الكتاب العظيم والسُّنَّة النبوية الشريفة، عدد الأجزاء:١، ص١٣.

(١٠٦) إن حد اللوط عند الإمام مالك الرجم بالحجارة حتى يموت، الفاعل والمفعول به، بكراً كان أو ثيباً، ولا يعتد فيه بالإحصان وشرائطه المذكورة في حد الزنا، أو يقتلان بالسيف حداً، واحتجوا على رأيهم بأن التلوط نوع من أنواع الزنا، لأنه إيلاج فرج في فرج بشهوة ولذة، فيكون اللائط والملوط به داخلين تحت عموم الأدلة الواردة في الزاني المحصن والبكر الزاني .التفريع في فقه الإمام مالك بن أنس - رحمه الله - المؤلف: عبيد الله بن الحسين بن الحسن أبو القاسم ابن الجَلَّاب المالكي (المتوفى: ٣٧٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م، عدد الأجزاء: ٢، ج٢، ص٢١٦.

(١٠٧) أبو شجاع الأزهري، المظاهرات السِّلميَّة من أوجب الواجبات الشرعية - لماذا؟ ... وكيف؟ (دراسة فقهية تأصيلية مبنية على الأدلة الصحيحة من الكتاب العظيم والسُّنَّة النبوية الشريفة، عدد الأجزاء:١، ص٤٦٨.

العمران والدّولة التّسلّط على أموال النّاس بشراء ما بين أيديهم بأبخس الأثمان ثمّ فرض البضائع عليهم بأرفع الأثمان على وجه الغصب والإكراه في الشّراء والبيع؛ وربّما تفرض عليهم تلك الأثمان على التّواخي والتّعجيل فيتعلّلون في تلك الخسارة الّتي تلحقهم بما تحدّثهم المطامع من جبر ذلك بحوالة الأسواق في تلك البضائع الّتي فرضت عليهم بالغلاء إلى بيعها بأبخس الأثمان، وتعود خسارة ما بين الصّفقتين على رؤوس أموالهم(١٠٨). وقال: ويؤول ذلك إلى تلاشي الدّولة وفساد عمران المدينة ويتطرّق هذا الخلل على التّدريج ولا يشعر به، هذا ما كان بأمثال هذه الذّرائع والأسباب إلى أخذ الأموال، وأمّا أخذها مجّانا والعدوان على النّاس في أموالهم وحرمهم ودمائهم وأسرارهم وأعراضهم؛ فهو يفضي إلى الخلل والفساد دفعة وتنتقض الدّولة سريعا بما ينشأ عنه من الهرج المفضي إلى الانتقاض، ومن أجل هذه المفاسد حظر الشّرع ذلك كلّه وشرع المكايسة في البيع والشّراء، وحظر أكل أموال النّاس بالباطل سدّا لأبواب المفاسد المفضية إلى انتقاض العمران(١٠٩).

الخاتمة:

الحمد لله تمت هذه الدراسة وسنسرد هنا أهم النتائج المعنية بهذه بالدراسة.

النتائج:

١- إن العلوم الشرعية لها علاقة بالكثير من العلوم الأخرى، أبرزها العلوم الإنسانية.

٢- إن الظلم مؤذن بخراب العمران، تواترت على ذلك النظريات الاجتماعية، وأيدتها النصوص الشرعية. وشهد عليها الواقع.

٣- إن مخاطر الظلم ومآلاته على المجتمع الإنساني حقيقة في الماضي ومشاهد في الحاضر.

٤- إن الشارع الحكيم توعد الظلمة بعقوبات عاجلة وآجلة.

٥- يعتبر ابن خلدون أول من حاول استخدام العلوم الاجتماعية والسياسية، وهو أول من وضع علم الاجتماع على أسسه الحديثة، وتسخيرها لدراسة التاريخ.

٦- الجنس العربي البعيد عن تعاليم الإسلام؛ عقلية هدامة للعمران إذا تغلّب، ولا يقوم بنفسه، ولا يمكن أن يسود غيره إلا في ظل رسالة، وأنه من أصعب الأمم انقياداً.

(١٠٨) ابن خلدون أبو زيد، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ص٣٥٦.

(١٠٩) نفس المصدر، ص٣٥٧.

المصادر والمراجع:

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٩٧٩م. عدد الأجزاء:٦.

ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، إنباء الغمر بأبناء العمر، المحقق: د حسن حبشي، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، عام النشر:١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م، عدد الأجزاء: ٤.

ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى:٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط–عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: ٨٠٨هـ)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، لمحقق: خليل شحادة، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨هـ– ١٩٨٨م.

ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، (المتوفى:٥٩٥هـ)، فصل المقال، دراسة، وتحقيق: محمد عمارة، الناشر: دار المعارف، الطبعة: الثانية، عدد الأجزاء:١.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، غريب الحديث، المحقق: د. عبد الله الجبوري، الناشر: مطبعة العاني – بغداد الطبعة: الأولى، ١٣٩٧، عدد الأجزاء:٣.

أبو شجاع الأزهري، المظاهرات السِّلميَّة من أوجب الواجبات الشرعية – لماذا؟ وكيف؟ (دراسة فقهية تأصيلية مبنية على الأدلة الصحيحة من الكتاب العظيم والسُّنَّة النبوية الشريفة، عدد الأجزاء:١، ص١٣.

أحمد رأفت عبد الجواد، مبادئ علم الاجتماع، مكتبة نهضة الشرق جامعة القاهرة.

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، عدد الأجزاء:٩.

البلخى، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (المتوفى: ١٥٠هـ)، تفسير مقاتل بن سليمان، المحقق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث– بيروت، الطبعة: الأولى– ١٤٢٣هـ.

الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى:٨١٦هـ)، كتاب التعريفات، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م، عدد الأجزاء:١.

الحاكم، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري (المتوفى: ٤٠٥هـ)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٠، عدد الأجزاء:٤.

الحموي، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو٧٧٠هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الناشر: المكتبة العلمية بيروت، عدد الأجزاء: ٢.

الخضر، مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي (المتوفى:١٣٩٣هـ)، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، إشراف وتقديم: المحامي عمر، مسقاوي، الناشر: دار الفكر المعاصر– بيروت لبنان/ دار الفكر– دمشق سورية، الطبعة: ٢٠٠٢م، ط١، عدد الأجزاء:١.

الخطيب، محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل، الغرناطي الأندلسي، (المتوفى:٧٧٦هـ) الإحاطة في أخبار غرناطة، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ، عدد الأجزاء:٤.

راغب السرجاني، ابن خلدون مفخرة الإسلام، http://iswy.co/e12r3t

رانيا سنجق، أهمية علم الاجتماع، https://mawdoo3.com

رفاعي، عاطف إبراهيم المتولي رفاعي، صور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم – دراسة في التفسير الموضوعي، إشراف فضيلة الدكتور: حاتم محمد منصور مزروعة، الناشر: رسالة ماجستير، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية (ماليزيا)، عام النشر:٢٠١١م، عدد الأجزاء:١.

الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى:١٣٩٦هـ) الأعلام، الناشر: دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر– أيار/ مايو٢٠٠٢م.

الزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى:٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م، عدد الأجزاء:٨.

السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ)، لضوء اللامع لأهل القرن التاسع، الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة– بيروت، عدد الأجزاء:٦.

الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، الموافقات، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة: الطبعة الأولى ١٩٩٧م عدد الأجزاء:٧.

الشحود، علي بن نايف الشحود، الأحكام الشرعية للثورات العربية، الطبعة: الأولى، ٢٠١١م، عدد الأجزاء:١.

الشميري، حكيم إبراهيم عبد الجبار الشمري، مناهج النقد الفقهي ومسالك الترجيح عند الإمام ابن رشد، (تطبيقات فقهية من بداية المجتهد ونهاية المقتصد)، الملتقى الدولي السادس النقد الفقهي في المذهب المالكي نظرية وتطبيقات، جامعة الشهيد حمة الخضر– الوادي – الجزائر_ معهد العلوم الإسلامية، بالتعاون مع مخبر الدراسات الفقهية والقضائية، ١٥–١٦ ديسمبر ٢٠٢١م.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى:١٢٥٠هـ)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، الناشر: دار المعرفة بيروت، عدد الأجزاء: ٢.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى:٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات، المحقق: أحمد، الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، الوافي بالوفيات، عام النشر:٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ٢٩.

الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى:٣٦٠هـ)، المعجم الأوسط، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين – القاهرة، عدد الأجزاء: ١٠.

الطرطوشي، أبو بكر محمد بن محمد ابن الوليد الفهري الطرطوشي المالكي (المتوفى: ٥٢٠هـ)، سراج الملوك، الناشر: من أوائل المطبوعات العربية – مصر، تاريخ النشر: ١٢٨٩هـ، ١٨٧٢م، عدد الأجزاء:١.

عبد الجليل غزالة، تأثير ابن خلدون في العلماء الغربيين، https://anfasse.org

عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم، الناشر: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة: الرابعة عدد الأجزاء: ١٢.

العكبري، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري، (المتوفى:٣٨٧هـ)، الإبانة الكبرى لابن بطة، المحقق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، عدد الأجزاء:٩.

العَكري، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى:١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ–١٩٨٦م، عدد الأجزاء: ١١.

الغرناطي، محمد بن علي بن محمد الأصبحي الأندلسي، أبو عبد الله، شمس الدين الغرناطي ابن الأزرق (المتوفى:٨٩٦هـ)، بدائع السلك في طبائع الملك، المحقق: د. علي سامي النشار، الناشر: وزارة الإعلام – العراق، الطبعة: الأولى، عدد الأجزاء:١.

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى:٥٠٥هـ)، المستصفى، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٩٩٣م، عدد الأجزاء: ١.

الفاسي، محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي (المتوفى:٨٣٢هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٩٩٠م، عدد الأجزاء: ٢.

القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، محاسن التأويل، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى– ١٤١٨هـ.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٩٦٤م، عدد الأجزاء:٢٠.

القَلْعي، أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن القَلْعي الشافعي (المتوفى:٦٣٠هـ)، تهذيب الرياسة وترتيب السياسة، المحقق: إبراهيم يوسف مصطفى عجو الناشر: مكتبة المنار – الأردن الزرقاء، الطبعة: الأولى، عدد الأجزاء:١.

القيرواني، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (المتوفى: ٢٠٠هـ)، تفسير يحيى بن سلام، تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، عدد الأجزاء:٢.

مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي (المتوفى:١٣٩٣هـ)، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، إشراف وتقديم: المحامي عمر، مسقاوي، الناشر: دار الفكر المعاصر- بيروت لبنان/ دار الفكر-دمشق سورية، الطبعة: ٢٠٠٢م، ط١، عدد الأجزاء:١.

مسلم، بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى:٢٦١هـ)، الصحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت، عدد الأجزاء:٥.

المصدر الجزيرة، زهير حمداني، ابن خلدون.. عبقرية وريادة، ٢٠١١. https://www.aljazeera.ne

المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (المتوفى:١٠٤١هـ)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر- بيروت – لبنان.

المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، التوقيف على مهمات التعاريف، الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، عدد الأجزاء:١.

النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، السنن الكبرى، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركين الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م، عدد الأجزاء:١٠.

الهروي، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى:٢٢٤هـ)، كتاب الأموال، المحقق: خليل محمد هراس، الناشر: دار الفكر. بيروت عدد الأجزاء:١.

وِل ديورَانت = ويليام جيمس ديورَانت (المتوفى:١٩٨١م)، قصة الحضارة، تقديم: الدكتور محيي الدّين صَابر، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين، الناشر: دار الجيل، بيروت – لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونسعام النشر: ١٩٨٨م، عدد الأجزاء:٤٢.

يكيبيديا، الموسوعة الحرة.